الخطبة الشامية

تأليف

بديع الزمان سعيد النورسى

ترجمة وتحقيق

إحسان قاسم الصالحى

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي هذه الرسالة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومَن والاه، وبعد؛

فقد ألقى الاستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، وهو في شرخ الشباب هذه الخطبة باللغة العربية في الجامع الاموي بدمشق، برجاءٍ من علماء الشام وإلحاحهم، وحضرها جمهور غفير من الناس يربون على عشرة آلاف شخص، فاستمعوا اليها بلهفة وشوق، حتى ان الخطبة لما طُبعت لأول مرة نفدتْ نسخها في غضون ايام قليلة فأُعيد طبعها خلال اسبوع واحد.

كان ذلك في شتاء سنة 1911م، اي قبل اندلاع الحرب العالمية الاولى. ثم توالت ايام الحرب الدامية، وانتهت بأُفول نجم الدولة العثمانية، وبدأت بعدها أيام محن توالت على الاستاذ النورسي بسلسلة اعتقالاته ونفيه ومحاكماته التي دامت حتى سنة 1950م.

فطوال هذه السنين العجاف لم يتسنَّ له مراجعة هذه الخطبة، بل حتى أنه لم يرها، الى أن أرسل اليه في سنة 1951م أحد أصدقائه من مدينة »وان« نسخة مطبوعةً منها.

كان الاستاذ النورسي عند ذاك في منفاه في »اميرداغ« فأعاد النظر في خطبته التي القاها قبل اربعين سنة، وبدأ بترجمتها الى التركية، أو بالأحرى بتنقيحها وصياغتها مجدداً، إذ ضمَّ اليها فقرات مهمة وهوامش قيّمة [1] وحذف منها ما يحدد شموليتها، وأحال بعض مسائلها الى اجزاء رسائل النور، ثم درّسها لقسمٍ من طلابه.

---

[1] ذُيلت هوامش المؤلف بـ » المؤلف«، وحصرت العبارات العربية التي وردت في النص التركي بين قوسين مركنين [ ]

قام الملا عبد المجيد »شقيق الاستاذ النورسي« بترجمة هذا النص التركي الى العربية – بتوصية من المؤلف نفسه – حسب اسلوبه ونُشرتْ بالاستنساخ اليدوي في اوساط ضيقة، اذ كانت الطباعة محظورة بالحروف العربية آنذاك.

وفي بداية الستينات تناول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ترجمة الملا عبد المجيد هذه، وصاغها باسلوبه العذب. ونُشرتْ منها طبعات كثيرة في حينه [2].

ولكن لما كانت الترجمة العربية هي في الاصل غير كاملة وغير مستوعبة للموضوع،فقد جاءت تلك الصياغة الجميلة – مع الاسف – ينقصها الكثير من الفقرات المهمة والمسائل الجليلة التي تمس الاحداث،فضلاً عن ان الصياغة اقتصرت على الخطبة وحدها دون ذيولها ولواحقها.

ثم تناول الاستاذ عاصم الحسيني النص التركي بالترجمة الى العربية، فأجاد اسلوباً وأداءً للمعنى، وقام طلاب النور بطبعها في المطبعة البولسية ببيروت سنة 1974م.

قابلت ترجمة الأخ عاصم بالنص التركي فتوصلت الى الآتي:

1– انها ترجمة قيمة لا ترقى اليها ترجمة اخرى، سواءً في الاداء أو السبك الرصين للجمل، وهي تكاد تكون مطابقة لمتن الخطبة بالنص التركي، إلاّ في بعض الجمل أو أجزاءٍ من فقرات.

2 – بيد أن الاخ الكريم لم تتح له الفرصة – كما يبدو – لإكمال ترجمته، فلم يترجم ذيول الخطبة كاملة، اذ المقالات التي كتبها الاستاذ النورسي في الصحف المحلية في عهد الاتحاديين وألحقها بالنص التركي، ذات اهمية في إعطاء الصورة الكاملة والواضحة للاحوال السياسية والاجتماعية وكذا التيارات الفكرية التي كان يموج بها المجتمع وقتئذٍ.

---

[2] طبعت الطبعة الاولى منها في مطبعة بركات بدمشق. المترجم

3 - ولأجل هذا كله، رأيت لزاماً عليّ القيام بترجمة النص التركي للخطبة مجدداً، مع ذيولها ولواحقها كاملة، ليلمس القارئ الكريم بنفسه أبعاد المسائل التي يطرقها الاستاذ النورسي ويطّلع عليها من جميع جوانبها.

ولقد انتهجت اثناء الترجمة والمقابلة على النص التركي والعربي، الخطوات الآتية:

1 – اعتبار النص التركي الذي صاغه الاستاذ النورسي بنفسه هو الاساس، مع ذيوله ولواحقه. وهو النص نفسه الذي وضعه الاستاذ ضمن مباحث كتاب (Tarihçe-i Hayat) أي »السيرة الذاتية« الذي قام بتأليفه طلابه المقرّبون وأقرّه بنفسه وطُبع في حياته. والنسخة التي اعتمدتُ عليها من الخطبة هي من منشورات »دار سوزلر« في استانبول سنة 1979م.

2 – مقابلة كل فقرة في النص التركي بالنسخة العربية لنص الخطبة المطبوعة في استانبول – لأول مرة – سنة 1922م في مطبعة الاوقاف الاسلامية. علماً أن هذا النص الاول العربي لم تبق له إلاّ اهميته التاريخية حيث نقّحه المؤلف بنفسه كما ذكرنا.

3 – الاكتفاء بترجمة الأخ عاصم الموافقة للنص التركي مع إجراء ما يلزم من تغييرات في الفقرات والجمل ليقرّبها اكثر الى معنى النص التركي وليفي بمراد المؤلف. مع إكمال الجمل أو الفقرات الناقصة فيها.

4 – ترجمة الذيول بكاملها والمقالات الملحقة بها.

5 – وضع هوامش ضرورية للقارئ الكريم لإيضاح ما يستغلق عليه من مصطلحات سياسية وتاريخية كانت معروفة ومتداولة في حينها.

6 – استخراج الايات الكريمة من القرآن الكريم ووضع اسم السورة ورقم الآية.

7 – تخريج الاحاديث الشريفة اعتماداً على الكتب الموثوقة.

والله نسأل أن يوفقنا لحسن القصد، وصحة الفهم، وصواب القول وسداد العمل وصلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.

احسان قاسم الصالحي

المحرم الحرام 1409

مقدّمة

الخطبة الشامية للمؤلف

باسمه سبحانه

(وإن من شئٍ إلاّ يسبح بحمده)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ابداً دائماً.

اخواني الاعزاء الاوفياء!

هذه الرسالة العربية قد أُلقيتْ درساً في الجامع الاموي بدمشق منذ اربعين عاماً، وذلك بناءً على اصرار العلماء هناك، واستمع اليها ما يقرب من عشرة آلاف شخص، بينهم ما لايقل عن مائة من كبار علماء الشام.

ان الحقائق الواردة فيها، قد أحسَّها »سعيد القديم« باحساس مسبق. فزفّها بشائر عظيمة بيقين جازم، ظناً منه أن تلك الحقائق وشيكة التحقق، بيد أن الحربين العُظميين، والاستبداد المطلق الذي استمر ربع قرن من الزمان [3]، قد أدّيا الى تأخر تحقق تلك الحقائق أربعين أو خمسين عاماً.

والآن وقد بدأت تباشير تحقق ما أخبر عنه تلوح في افق العالم الاسلامي. بمعنى ان هذا الدرس المهم ليس مجرد خطبة قديمة، قد عفا عليها الزمن، بل هو درس اجتماعي اسلامي، يحتفظ بكامل جدته وطراوته وحقيقته طوال هذه الفترة، وكل الذي حدث هو أن عام

[3] أى منذ انتهاء الخلافة العثمانية سنة 1923 م الى سنة 1950 م – المترجم

1327هـ قد اصبح عام 1371هـ وان الجامع الاموي قد حل محلّه جامع العالم الاسلامي الذي يضم ثلاث مائة وسبعين مليون نسمة [4].

ان درساً كهذا جدير الآن بالترجمة على ما اعتقد.

سعيد النورسي

[4] تعداد المسلمين آنذاك. المترجم

نهج رسائل النور
في التبليغ

»يسجَّل هنا جوابٌ مهمٌ عن سؤال في غاية الأهمية، اذ يذكر»سعيد القديم« باحساسٍ مسبّق، في درسه ذاك الذي القاه قبل اربعين سنة دروس رسائل النور الخارقة وتأثيراتها، وكأنه يراها«.

لقد سألني الكثيرون وسألوا بعض اخواني النوريين، ومازالوا يسألون:

لماذا لا تُهزم »رسائل النور« أمام هذا الحشد الغفير من المعارضين والفلاسفة المُتعنّتين وارباب الضلال؟ فعلى الرغم من اقامتهم سداً منيعاً – الى حدٍ ما – ليحول دون انتشار ملايين الكتب الإيمانية والاسلامية القيمة.. وعلى الرغم من حرمانهم الكثير من الناس، ولا سيما الشباب الأبرياء من حقائق الايمان بتسهيل سُبُل السفاهة لهم واغرائهم بملذّات الحياة الدنيا.. وعلى الرغم من محاولتهم كسر شوكة رسائل النور بشتى وسائل الغدر واساليب الهجوم العنيف واختلاق الاكاذيب واشاعة الدعايات الزائفة وتخويف الناس منها وحملهم على التخلي عنها.. وعلى الرغم من ذلك فقد انتشرت رسائل النور. فما الحكمة من انتشارها انتشاراً لم يسبق له مثيل، حتى بلغ ما نسخ من معظمها باليد فقط ستمائة الف نسخة، وهي تحظى بانتشار واسع ويتلقاها الناس بشوق بالغ في الخفاء، وتستقرئ نفسها في داخل البلاد وخارجها بكمال المسرّة والمحبة؟.

فجواباً عن أسئلة كثيرة تردُ بهذا المعنى نقول:

الجواب:

ان رسائل النور التي هي تفسير حقيقي للقرآن الكريم، ببيان اعجاز معانيه الجليلة، تبين ان في الضلالة جحيماً معنوياً في هذه الدنيا، كما تثبت ان في الايمان نعيماً معنوياً في الدنيا ايضاً. وهي تبرهن أن في المعاصي والفساد والمتع المحرّمة آلاماً معنوية مبرّحة، كما أن في الحسنات والخصال الحميدة والعمل بالحقائق الشرعية لذائذ معنوية أشبه ما تكون بملذات الجنة.

فهي بهذا الاسلوب تنقذ مَن كان له مسكة من عقل من أهل السفاهة وارباب الضلال من التمادي في غيّهم، ذلك لأن في عصرنا هذا حالتين رهيبتين:

اولاها:

ان نوازع الانسان واحساسيسه المادية لا ترى العقبى فتفضّل درهماً من لذّةٍ عاجلة على قنطار من لذات آجلة، هذه الاحاسيس قد طغت – في هذا العصر – على عقل الإنسان وسيطرت على فكره؛ لذا فالسبيل الوحيد لإنقاذ السفيه من سفهه، هو الكشف عن ألمه في لذته نفسها، ومساعدته على التغلب على احاسيسه تلك؛ اذ المرء في زماننا هذا، مع علمه بلذائذ الآخرة ونعيمها الثمين كالالماس يفضّل عليها مُتعاً دنيوية تافهة اشبه ما تكون بقطع زجاجية قابلة للكسر! كما تشير اليها الآية الكريمة (الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) (ابراهيم: 3). وبناء على هذا ولشدة حبّه للدنيا تراه ينساق وراء ارباب الضلالة ويتبعهم بعد أن كان من أهل الايمان.

والسبيل الوحيد لإنقاذه من خطر الانسياق هذا، هو اظهار آلام جهنم وعذابها في الدنيا ايضاً.

وهذا هو النهج الذي تسير عليه رسائل النور.

ان ما في عصرنا الحاضر من تعنّت الإلحاد، وصدود الضلالات الناجمة من طغيان العلوم الحديثة وغرورها والإعراض الناشئ من اعتياد السفه والغي، قد جعلت نسبةَ مَن يتّعظ واحداً من مجموع عشرة اشخاص، أو ربما واحداً من عشرين شخصاً، بعد

أن يُعرَّف له الخالق جل جلاله ويثبت له وجود جهنم ويخوَّف من عـــذابها ليتجنـــب الشرور والسيئات، ثم تراه يقول: »ان الله غفور رحيم.. ان جهنم بعيدة جداً!.« ثم قد يستمر في لهوه وعبثه، فينهزم قلبُه وتنهار روحُه أمام طغيان شهواته.

وهكذا فان »رسائل النور« تبين العواقب الوخيمة الأليمة التي تترتـــب علـــى الكفـــر والضلال في هذه الدنيا، في معظم الموازنات التي تعقدها، فتنفِّر أشد الناس اتباعـــاً لهـــواهم واكثرهم تعنّتاً وعناداً، من الخوض في متعهم المحرمة وسفاهتهم المشؤومة، وتدفع بالعقلاء منهم الى طَرقِ باب التوبة والاستغفار.

وعلى سبيل المثال: الموازنات المبسطة التي تتضمنها الكلمات: السادســـة، والســـابعة، والثامنة من »الكلمات الصغيرة«، والموازنة المطوّلة التي يتضمنها الموقف الثالث من الكلمـــة الثانية والثلاثين. هذه الموازنات تحمل اشد الناس سفاهة وضلالة على الرهبة والرعب، وعلى قبول ارشادها والاتعاظ بها.

ومثلاً: نشير هنا بأختصار الى ما رآه – أي سعيد القديم – من حقائق في اثناء تجـــوالٍ خيالي من خلال التدبر في آية »النور«. وتفصيله في »القسم الخامس من المكتـــوب التاســـع والعشرين من مجموعة المكتوبات« فمن شاء فليراجعه. والخلاصة هي:

في اثناء سياحتي الخيالية تلك، رأيت عالم الحيوان، ذلك العـــالم المحتـــاج الى الـــرزق والتقوّت. وعندما تأملته من وجهة نظر الفلسفة المادية، أظهر لي – ذلك العالَم من الاحياء – عالماً رهيباً مؤلماً؛ بما فيه من ضعف وعجز فضلاً عن مسيس احتياجه وشدة جوعه!

ولما كنت انظر اليه بعين اهل الضلال والغفلة اطلقتُ صرخةً ملؤها الألم والحزن، واذا بي أرى ذلك العالم بمنظار الإيمان وحكمة القرآن، فاذا باسم »الرحمن« يشـــرق مـــن بـــرج »الرّزاق« كشمسٍ ساطعة، فأنار ذلك العالَمَ الجائع البائس من الاحياء واسبغ عليه نور رحمته.

ثم رأيت عالَماً آخر في عالم الحيوان هذا، ذلك هو عالَم الافراخ الصغار التي تنـــتفض ضعفاً وعجزاً وعَوزاً، وقد تغشاه ظلام محزن أليم، يدعو كل انسان الى الاشفاق عليه. ولمـــا كنت انظر بعين اهل الضلالة، صحتُ قائلاً: واحسرتاه! واذا

بالايمان يمنحني نظّارة، شاهدتُ من خلالها: طلوع اسم »الرحيم« من برج الشفقة، ينشر اضواءه الزاهية الجميلة، حتى حوّل ذلك العالم المحزن الى عالم بهيج، وقَلَب عبرات الشكوى والألم والحزن المنهمرة من عيني الى دموع الفرح والشكر والامتنان.

ثم تراءى لي عالم الانسان كشاشة سينمائية، فانعمتُ النظر فيه بمنظار أهل الضلالة، واذا به: عالم مظلم مرعب.. لم اتمالك معه نفسي فاطلقتُ صرخة ألمٍ من أعماق قلبي قائلاً: وا أسفاه! ذلك لأن آمال الناس وأمانيهم الممتدة الى الأبد، وتصوراتهم وافكارهم المحيطة بالكون، وتطلعاتهم الجادة واستعداداتهم الفطرية التواقة الى الخلود والجنة والسعادة الابدية، وقواهم الطليقة غير المحددة فطرياً، واحتياجاتهم المتوجهة الى غايات ومقاصد لا منتهى لها، وتعرضهم – مع ضعفهم وعجزهم – لهجمات ما لايحصى من المصائب والاعداء.. مع كل هذا، لهم عمرٌ جدّ قصير، ويحيون حياةً ملؤها الصخب والقلق، يذوقون مرارة الموت كل يوم بل كل ساعة، يقاسون ضنك المعيشة في حياتهم ويتجرعون آلام الفراق والزوال التي هي اوجع للقلب واثقل على الوجدان، فضلاً عن انهم ينظرون الى القبر والمقبرة نظر أهل الغفلة وكأنه باب الى ظلام سرمدي، يُرمَون في غياهبه فرداً فرداً وطائفة إثر طائفة!

وهكذا.. ففي الوقت الذي رأيت عالم الانسان هذا غارقاً في مثل هذه الظلمات واذ انا على وشك الصراخ من أعماق قلبي وروحي وعقلي، بل بجميع مشاعري بل بجميع ذرات وجودي، اذا بالنور المنبعث من القرآن والايمان الراسخ الناشئ منه، يحطّم ذلك المنظار المضلّ، ويهب لعقلي بصراً نافذاً أرى به الاسماء الالهية الحسنى وقد اشرقت كالشمس الساطعة من بروجها؛ فاسم الله »العادل« رأيته بازغاً من برج »الحكيم« واسم »الرحمن« من برج »الكريم« واسم »الرحيم« من برج »الغفور« – أي بمعناه – واسم »الباعث« من برج »الوارث« واسم »المحيي« من برج »المحسن« واسم »الرب« من برج »المالك« فأضاءت هذه الاسماء بنورها الباهر عوالم كثيرة داخل عالم الانسان المظلم، وحوّلتها الى عوالم مشرقة بهيجة، كما بددتْ تلك الحالات الجهنّمية بما فتحتْ من نوافذ الى عالم الاخرة، حتى نثرت الانوار الى جميع جوانب ذلك العالم البائس للانسان. فقلتُ: »الحمد لله«..»الشكر لله..« بعدد ذرات العالم، ورأيت بعين اليقين وعلمتُ علم اليقين:

»ان في الإيمان حقّاً جنة معنوية، وان في الضلال جحيماً معنوياً ايضاً في هـــذه الـــدنيا ذاتها«.

ثم ظهر في تلك الجولة عالمُ كرة الارض، فعكست القوانين العلمية المظلمة بالفلسفة غير المنقادة للدين، الى خيالي عالماً في منتهى الغرابة والدهشة. اذ تأملت هذه الارض التي تزيـــد سرعة حركتها على سرعة طلقة المدفع بسبعين مرة وتقطع مسافة خمسة وعشرين الف سنة في سنة واحدة، وهي مع شيخوختها وهرمها معرضة للتشتت والتحطّم في كل لحظة، وتحمل في باطنها زلازل مخيفة، وعلى ظهرها هذا الانسان البائس الذي تجوب به اجواء الفضـــاء غـــير المحدود.. فاشفقتُ على وضع هذا الانسان وسط هذا الظلام الدامس الموحش المخيم عليـــه، ودار رأسي من هول ما رأيتُ واظلمتِ الدنيا امام عيني، فطرحتُ نظارة الفلســـفة ارضـــاً وحطمتها كليا. ونظرت الى الامر ببصيرة وضاءة بحكمة القرآن، واذا باسماء خـــالق الارض والسموات: القدير، العليم، الرب، الله، ربّ السموات والأرض ومسخر الشمس والقمر، قد اشرقت من بروج الرحمة والعظمة والربوبية شروق الشمس. فغمرت ذلك العـــالم الحالـــك الموحش المذهل بنور زاهٍ باهر جعلني أبصر بعينيّ المؤمنتين هاتين: ان الكرة الارضية في غايـــة الانتظام والتسخير والتكامل للانسان، وهي في امان وسلام، فيها رزق كل مَن يدبّ عليها، كأنها سفينة سياحية مهيأة للتنزّه والراحة والاستجمام والتجارة. تتجول بمـــا عليهـــا مـــن مخلوقات، حول الشمس في مملكة ربانية واسعة، وهي مشحونة بالرزق كأنها قطار أو سفينة أو طائرة مشحونة في الربيع والصيف والخريف.فقلت وقتئذٍ »الحمد لله على نعمة الايمـــان« بعدد ما في الارض من ذرات.

وفي ضوء هذا المثال تستطيع أن تقيس كثيراً من الموازنات الاخـــرى الـــتي تتضـــمنها »رسائل النور« والتي تثبت: ان ارباب السفاهة والضلال يذوقون في الدنيا نفســـها عـــذاباً جهنمياً معنوياً، كما ان اهل الصلاح والايمان يعيشون في جنـــة معنويـــة في هـــذه الـــدنيا. وبامكانهم أن يتذوقوا طعوم لذائذ تلك الجنة المعنوية بحواسهم ولطائفهم الاسلامية والانسانية

وبتجليات الايمان وجلواته. بل يمكنهم الاستفادة من تلك اللذات حسب تفاوت درجـــاتهم الايمانية.

بيد أن طبيعة هذا العصر العاصف الذي تسود فيه التيارات المعطّلة للمشاعر، والصارفة لأنظار البشرية الى الآفاق الخاوية والغرق فيها، قد اوجدتْ صعقةً من النوع

الذي يعطّل الاحساس، لذا فان ارباب الضلال لايشعرون بعذابهم المعنوي مؤقتاً، وان أهل الهداية بدورهم قد داهمتهم الغفلة فلايستطيعون ان يقـــدروا لـــذّة الايمان الحقيقية حق قـــدرهـــا.

الحالة الرهيبة الثانية لعصرنا الحالي:

ان انواع الضلالة الناشئة من الإلحاد والعلوم الطبيعية، والتمرد المتولد من الكفر العنادي في الماضي، ليعتبران من الضآلة بحيث لا يُذكَران اذا ما قيسا بما عليه الوضع في وقتنا الـــراهن، لذا فقد كانت ادلّة علماء الاسلام ودراساتهم كافية لسدّ حاجات عصرهم، اذ كـــان كفـــر عصرهم مبنيّاً على الشك، فكانوا يزيلونه بسرعة؛ حيث كان الايمان بالله يســـود اوســـاط الناس، وكان من اليسير ارشاد الكثيرين الى طريق الهداية والصراط السوي، وانقـــاذهم مـــن السفاهة والضلال، وذلك بالتذكير بالله سبحانه والتخويف من عذابه فكان الكثيرون يتخلّون عن غيهم.

أما اليوم فقد تغير الحال، اذ بينما كان يوجد – في الماضي – ملحد واحد في بلد، يمكن العثور الآن على مائة كافر في قصبة واحدة. وقد زاد عدد الذين يضلون بســـبب افتتـــانهم بالعلوم والفنون الحديثة ويقفون بعناد وتمرّد في وجه حقائق الايمان اضعاف اضعاف الماضـــي بمائة مرة. ولما كان هؤلاء المعاندون يعارضون الحقائق الايمانية بغرور فرعـــوني وبتضـــليلات رهيبة، فلا مناص من أن يجابَهوا بحقائق قدسية في قوة القنبلة الذريـــة، لـــتحطّم مبـــادءَهم واسسَهم في هذه الدنيا وتقف زحفهم وتجاوزهم، بل تحمل قسماً منهم على التسليم والايمان.

فنحن نحمد الله اجزل الحمد ونشكره شكراً لامنتهى له على أن »رسائل النور« قـــد اصبحت ترياقاً شافياً لجروح عصرنا الدامية ومعجزة معنوية من معجزات القـــرآن الحكـــيم، ولمعة من لمعاته، فلقد استطاعت بموازناتها العديدة ان تحارب اشد المعاندين المتعنتين بســـيف القرآن الالماسي، وتنصب الحجج وتقيم الادلّة على الوحدانية الإلهية وحقائق الايمـــان بعـــدد ذرات الكون.

ولعل هذا السرّ هو الذي جعلها لا تُغلَب ولاتنهزم منذ خمسة وعشرين عاماً، في وجـــه اشد الحملات شراسة، بل كانت هي الغالبة على الدوام.

نعم! ان موازنات الكفر والايمان، ومقايسات الهداية والضلال التي تشتمل عليها »رسائل النور«، تثبت بالمشاهدة هذه الحقيقة المذكورة. فالذي يطالع براهين ولمعات »الكلمة الثانية والعشرين« - بمقاميها - مثلاً أو يجيل النظر في الموقف الاول من »الكلمة الثانية والثلاثين«. أو يقرأ نوافذ»المكتوب الثالث والثلاثين«، أو يتصفّح الحجج الاحدى عشرة من مجموعة »عصا موسى« واذا ما قاس سائر الموازنات والمقايسات الاخرى على ما ذكرناه يدرك جيداً: ان حقائق القرآن المتجلية في »رسائل النور« هي التي تستطيع قطع دابر الإلحاد وعناد أهل الضلال المتمرد في زماننا هذا واستئصال شأفتهما.

وكما قد تجمعت الشذرات التي تميط اللثام عن وجه معمّيات حقائق خلق العالم وأهم دقائق اسرار الدين في مجموعة »الطلاسم« فاملي بالله عظيم أن تجمع كذلك تلك الاجزاء المتناثرة - التي تثبت بالادلة والبراهين - ان أهل الضلالة يعيشون في جهنم في هذه الدنيا وان أهل الهداية يذوقون لذائذ الجنة في هذه الدنيا ايضاً.. وان الايمان بذرة معنوية من بذور الجنة، والكفر نواة من نوى زقّوم جهنم. وآمل ان تجتمع تلك الاجزاء من »رسائل النور« في مجموعة موجزة وتنشر بعون الله وتوفيقه.

سعيد النورسي

الخطبة الشامية

تأليف

بديع الزمان سعيد النورسى

ترجمة وتحقيق

إحسان قاسم الصالحى

بسم الله الرحمن الرحيم

نقدم اولاً ما يقدمه كل ذي روح بلسان حال حياته من هدايا معنوية الى خالقه، وما يقدمه كلٌ منهم من الحمد والشكر بلسان حاله الى ذلك الواجب الوجود الذي قال: (لا تقنطوا من رحمة الله) (الزمر: 53) ونصلي ونسلّم صلاةً وسلاماً لامنتهى لهما على نبيّنا محمد المصطفى عليه الصلاة والسلام، الذي قال:(انما بعثتُ لأتمم مكارمَ الاخلاق) [5] أي: انما بعثني الله الى الناس لتتميم الخصال الحميدة وانقاذ البشرية من الطباع الذميمة.

أما بعد!

فيا اخواني العرب الذين يستمعون الى هذا الدرس في هذا الجامع الاموي. انني ما صعدت هذا المنبر والى هذا المقام الذي هو فوق حدي، لأرشدكم فهذا امرٌ فوق طوقي. اذ ربما فيكم ما يقارب المئة من العلماء الافاضل. فمثلي معكم كمثل صبي يذهب الى المدرسة صباحاً ثم يعود في المساء ليعرض ما تعلّمه على ابيه، ابتغاء تصحيح اخطائه والتلطّف في تصويبه وارشاده.

فشأننا معكم شأن الصبيان مع الكبار، فنحن تلامذة بالنسبة اليكم وأنتم اساتذة لنا ولسائر أمة الاسلام. وها أنذا اعرض بعض ما تعلمته على اساتذتي:

لقد تعلمت الدروس في مدرسة الحياة الاجتماعية البشرية وعلمتُ في هذا الزمان والمكان أن هناك ستة امراض، جعلتنا نقف على اعتاب القرون الوسطى في الوقت الذي طار فيه الاجانب – وخاصة الاوربيين – نحو المستقبل.

---

[5] راوه مالك في الموطأ بلاغاً عن النبي (ص). وقال ابن عبد البر متصل من وجوه صحاح عن ابي هريرة وغيره. منها ما رواه احمد والخرائطي في اول المكارم بسند صحيح عن ابي هريرة مرفوعاً بلفظ انما بعثت لاتمم صالح الاخلاق... (باختصار عن كشف الخفاء للعجلوني 211/1)

وتلك الامراض هي:

اولاً: حياة اليأس الذي يجد فينا اسبابه وبعثه.

ثانياً: موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية.

ثالثاً: حبّ العداوة.

رابعاً: الجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض.

خامساً: سريان الاستبداد، سريان الامراض المعدية المتنوعة.

سادساً: حصر الهمة في المنفعة الشخصية.

ولمعالجة هذه الامراض الستة الفتّاكة، أبيّن ما اقتبسته من فيض صيدلية القرآن الحكيم – الذي هو بمثابة كلية الطب في حياتنا الاجتماعية – أبيّنها بست كلمات، اذ لا اعرف اسلوباً للمعالجة سواها.

الكلمة الاولى

»الأمـــــل«

اي: شدة الاعتماد على الرحمة الالهية والثقة بها.

نعم! انه بناء على ما تعلمته من دروس الحياة، يسرّني ان أزفّ اليكم البشرى يامعشـــر المسلمين، بأنه قد أَزِفَ بزوغ أمارات الفجر الصادق ودنا شروق شمس سعادة عالم الاسلام الدنيوية وبخاصة سعادة العثمانيين، ولاسيما سعادة العرب الذين يتوقّف تقدم العالم الاسلامي ورقيّه على تيقظهم وانتباههم، فانني اعلن بقوة وجزم، بحيث أُسمع الدنيا كلها وأنفُ اليـــأس والقنوط راغم [6]:

---

[6] لقد اخبر»سعيد القديم« باحساس مسبق منذخمسة واربعين عاماً بأن العالم الاسلامي – وفي مقدمته الدول العربية – سينجو من سيطرة الاجانب وتحكمهم، وسيشكلون دولاً اسلامية سنة،1371 ولم يفكر آنذاك في الحربين العالميتين ولا في الاستبداد المطلق الذي دام ما يقارب اربعين عاماً، فبشّر بما كان سنة 1371 وكأنه 1327 دون أن يأخذ سبب التأخير بنظر الاعتبار. المؤلف.

ان المستقبل سيكون للاسلام، وللاسلام وحده. وان الحكم لن يكون إلاّ لحقائق القرآن والايمان. لذا فعلينا الرضى بالقدر الالهي وبما قسّمه الله لنا؛ إذ لنا مستقبل زاهر، وللأجانب ماضٍ مشوش مختلط.

فهذه دعواي، لي عليها براهين عدة، سأذكر واحداً ونصفاً فقط منها، بعد ان أمهّد لها ببعض المقدمات.

أما المقدمات فهي:

ان حقائق الاسلام تمتاز باستعدادها، استعداداً كاملاً لدفع اهلها الى مراقي التقدم المادي والمعنوي معاً.

أما أنه مستعد للرقي المعنوي:

فاعلموا! ان التاريخ الذي يسجل الوقائع الحقيقية، اصدق شاهد على حقيقة الأحداث؛ فها هو التاريخ يرينا أن القائد الياباني الذي هزم الروس يدلي بالشهادة الاتية في صدد عظمة الاسلام وحقانيته: »انه بنسبة قوة الحقائق الاسلامية وبنسبة التزام المسلمين تلك الحقائق، يزدادون رقياً وتقدماً، هكذا يرينا التاريخ. ويرينا إيضاً انه بقدر ضعف تمسكهم بتلك الحقائق يصابون بالتوحش والتخلف والاضمحلال والوقوع في ألوان من الهرج والمرج والاضطرابات. ويُغلَبون على أمرهم«. أما سائر الاديان الاخرى فالامر فيها على عكس الاسلام، أي: بقدر ضعف تمسّك اتباعها وضعف تعصبهم وصلابتهم في دينهم يزدادون رقياً وتقدماً، وعلى قدر تعصبهم وتمسكهم بدينهم يتعرّضون للانحطاط والاضطرابات.

هذا هو حكم التاريخ.. وهكذا مرّ الزمانُ الى الآن.

وما ارانا التاريخ قط منذ خير القرون والعصر السعيد الى الآن أن مسلماً قد ترك دينه مرجّحاً عليه – بالمحاكمة العقلية والدليل اليقيني – ديناً آخر، على حين ان كثيراً من اتباع الاديان الاخرى – حتى المتعصبين منهم، كالروس القدامى والانكليز – قد رجّحوا بالمحاكمة والدليل العقلي دين الاسلام على أديانهم فدخلوا في الاسلام. ولاعبرة هنا بتقليد العوام الذي لايستند الى دليل، كما لاعبرة بالمروق عن الدين والخروج على حقائقه، فهذه مسألة اخرى. علماً أن التاريخ يفيدنا بأن عدد من يدينون بالاسلام – بالمحاكمة العقلية – جماعات وافواجاً يزداد يوماً بعد يوم [7].

---

[7] والدليل على هذه الدعوى هو، انه مع قيام حربين عالميتين رهيبتين، وظهور استبداد مطلق قاسٍ نجد أنه بعد خمس واربعين سنة:

ولو اننا أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم اخلاق الاسلام وكمال حقائق الايمان، لدخل اتباع الاديان الاخرى في الاسلام جماعات وأفواجاً. بل لربما رضخت دول العالم وقاراته للاسلام.

ان البشرية التي اخذت تصحو وتتيقّظ بنتائج العلوم والفنون الحديثة، ادركت كنه الانسانية وماهيتها، وتيقّنت انه لا يمكنها ان تعيش هملاً بغير دين، بل حتى اشد الناس إلحاداً وتنكراً للدين مضطر الى أن يلجأ الى الدين في آخر المطاف؛ لأن:

»نقطة استناد« البشر عند مهاجمة المصائب والاعداء من الخارج والداخل، مع عجزه وقلّة حيلته، وكذا »نقطة استمداده« لآماله غير المحدودة الممتدة الى الأبد مع فقره وفاقته، ليس الاّ »معرفة الصانع« والايمان به والتصديق بالآخرة، فلا سبيل للبشرية المتيقّظة الى الخلاص من غفوتها سوى الاقرار بكل ذلك.

ومالم يوجد في صَدَفة القلب جوهر الدين الحق، فسوف تقوم قيامات مادية ومعنوية على رأس البشر، وسيكون اشقى الحيوانات وأذلّها.

خلاصة الكلام:

لقد تيقّظ الانسان في عصرنا هذا، بفضل العلوم والفنون ونُذُر الحروب والاحداث المذهلة، وشعر بقيمة جوهر الانسانية واستعدادها الجامع، وادرك ان الانسان باستعداده

---

1 – قبول بعض الدول الصغيرة كالسويد والنرويج وفنلندا تدريس القرآن في مدارسها، وقبولها له ليكون سداً منيعاً امام الشيوعية والالحاد.

2 – قيام عدد من الخطباء الانكليز المشهورين باقناع الانكليز وحملهم على قبول القرآن.

3 – موالاة اكبر دول المعمورة في الوقت الحاضر– وهي امريكا – لحقائق الدين بكل قواها، واعترافها بأن آسيا وافريقيا ستجدان السعادة والأمن والسلام في ظل الاسلام. فضلاً عن تعاطفها مع دول اسلامية حديثة الولادة ومحاولتها الاتفاق معها.. كل ذلك يثبت صدق هذه الدعوى التي قيلت قبل خمس واربعين سنة، وشاهد قوي عليها.المؤلف.

الاجتماعي العجيب لم يُخلق لقضاء هذه الحياة المتقلّبة القصيرة، بل خُلق للأبد والخلود، بدليل آماله الممتدة الى الابد. وان كل انسان بدأ يشعر – حسب استعداده – أن هذه الدنيا الفانية الضيقة لاتسع لتلك الآمال والرغبات غير المحدودة، حتى اذا قيل لقوّة الخيال التي تخدم الانسانية:

»لك ان تعمّري مليون سنة مع سلطنة الدنيا، نظير قبولك موتاً ابدياً لاحياة بعده اطلاقاً.« فلابد ان خيال ذلك الانسان المتيقّظ الذي لم يفقد انسانيته سيتأوه كَمَداً وحزناً – بدلاً من أن يفرح ويستبشر – لفقده السعادة الابدية.

وهذا هو السر في ظهور ميل شديد الى التحري عن الدين الحق في اعماق كل انسان، فهو يبحث قبل كل شئ عن حقيقة الدين الحق لتنقذه من الموت الابدي. ووضع العالم الحاضر خير شاهد على هذه الحقيقة.

لقد بدأت قارات العالم ودوله بعد مرور خمسة واربعين عاماً وبظهور الإلحـــاد تـــدرك ادراك كل فرد هذه الحاجة البشرية الشديدة.

ثم ان اوائل اكثر الايات القرآنية وخواتمها، تحيل الانسان الى العقل قائلة: راجع عقلك وفكرك ايها الانسان وشاورهما، حتى يتبين لك صدق هذه الحقيقة. فانظروا مـــثلاً الى قولـــه تعالى (فاعلموا.. فاعلم.. أفلا يعقلون.. أفلم ينظروا.. أفلا يتـــذكرون.. أفـــلا يتـــدبرون.. فاعتبروا يا اولى الأبصار..) وامثالها من الايات التي تخاطب العقل البشري. فهي تسأل: لِـــمَ تتركون العلم وتختارون طريق الجهل؟ لِمَ تعصُبون عيونَكم وتتعامَوْن عن رؤية الحق؟ ما الذي حملكم على الجنون وانتم عقلاء؟ أي شئ منعكم من التفكر والتدبّر في احداث الحياة، فـــلا تعتبرون ولاتهتدون الى الطريق المستقيم؟ لماذا لا تتأملون ولا تحكّمون عقولكم لئلا تضلوا؟.

ثم تقول ايها الناس انتبهوا واعتبروا! انقذوا انفسكم من بلايا معنوية تنزل بكم باتعاظكم من القرون الخوالي.

يا اخواني الذين يضمهم هذا الجامع الاموي، ويااخواني في جامع العـــالم الاســـلامي! اعتبروا انتم ايضاً! وقيّموا الامور في ضوء الاحداث الجسام التي مرت خلال السنوات الخمس والاربعين الماضية. كونوا راشدين يامن يعدّون انفسهم من أولي الفكر والعلم.

نحصل مما سبق:

نحن معاشر المسلمين خدام القرآن نتّبع البرهان ونقبل بعقلنا وفكرنا وقلبنـــا حقـــائقَ الايمان، لسنا كمن ترك التقلد بالبرهان تقليداً للرهبان كما هو دأب اتباع سائر الاديان!

وعلى هذا فان المستقبل الذي لاحكمَ فيه الاّ للعقل والعلم، سوف يسوده حكم القرآن الذي تستند أحكامُه الى العقل والمنطق والبرهان.

وها قد اخذت الحجب التي كانت تكسف شمس الاسلام تتزاح وتنقشع، وأخذت تلك الموانع بالانكماش والانسحاب. ولقد بدأت تباشير ذلك الفجر منذ خمس واربعين سنة، وها قد بزغ فجرها الصادق سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة والف

أو هو على وشك البزوغ، وحتى ان كان هذا الفجر فجراً كاذباً فسيطلع الفجر الصادق بعد ثلاثين أو أربعين عاماً ان شاء الله.

نعم فلقد حالت ثمانية موانع دون استيلاء حقائق الاسلام على الزمان الماضي استيلاءً تاماً وهي:

المانع الاول والثاني والثالث:

جهل الاجانب

وتأخرهم عن عصرهم (أي بُعدهم عن الحضارة)

وتعصبهم لدينهم

فهذه الموانع الثلاثة بدأت تزول بفضل التقدم العلمي ومحاسن المدنية.

المانع الرابع والخامس:

تحكّم القسيسين وسيطرة الزعماء الروحانيين على افكار الناس واذهانهم.

وتقليد الاجانب لاولئك القسيسين تقليداً أعمى.

فهذان المانعان ايضاً يأخذان بالزوال بعد انتشار حرية الفكر وميل النوع البشري الى البحث عن الحقائق.

المانع السادس والسابع:

تفشي روح الاستبداد فينا.

وانتشار الاخلاق الذميمة النابعة من مجافاة الشريعة ومخالفتها.

فان زوال قوة إستبداد الفرد الآن يشير الى زوال استبداد الجماعة والمنظمات الرهيبة بعد ثلاثين أو اربعين سنة. ثم ان فوران الحمية الاسلامية والوقوف على النتائج الوخيمة للاخلاق الذميمة كفيلان برفع هذين المانعين بل هما على وشك ان يُرفعا، وسيزولان زوالاً تاماً إن شاء الله.

المانع الثامن:

توهم وجود نوع من التناقض بين مسائل من العلم الحديث والمعنى الظاهري لحقائق الاسلام؛ هذا التوهم سبّب الى حدٍ ما وقف استيلاء الحقائق الاسلامية في

الماضي. فمثلاً: ان »الثور والحوت« اللذين هما عبارة عن مَلَكين روحانيين مـــأمورين بالاشراف على الارض بأمر الله. تخيّلهما البعضُ انهما حيوانان حقيقيان مجسّمان، أي: ثـــور ضخم وحوت جسيم، فوقف اهلُ العلوم الحديثة موقف المعارض للاسلام لعـــدم اطـــلاعهم على حقيقـــة التشبيه والمجاز.

وهناك مئات من الامثلة كهذا، إذ بعد الاطلاع على الحقيقة لا يجد أعتى الفلاسفة مفراً من الاستسلام والانصياع. حتى ان رسالة »المعجزات القرآنية« قد اشارت الى كل آية مـــن الآيات التي تعرّضَ لها أهل العلم الحديث، واظهرت ان في كلٍ منها لمعة رائعة مـــن لمعـــات اعجاز القرآن، وبيّنت ما ظنّه اهلُ العلم مدارَ نقدٍ في جُمَل القرآن وكلماته: أن في كل منها من الحقائق السامية الرفيعة ما لا تطاوله يد العلم، وألجأ الفلاسفة العنيـــدين الى الاستســـلام والرضوخ. وهذه الرسائل في متناول الجميع، وفي امكان كل واحد الاطلاع عليها بســـهولة، وعليه ان يطلع عليها، ليرى كيف انهار هذا المانع فعلاً، بعدما قيل منذ خمس واربعين سنةً.

نعم، ان هناك مؤلفات قيمة لعلماء الاسلام في هذا المجال، وكل الامارات تدل على ان هذا المانع الثامن سيضمحل تماماً.

واذا لم يحدث ذلك الآن، فانه بعد ثلاثين أو اربعين عاماً سوف يتجهّز العلم، والمعرفـــة الحقيقية، ومحاسن المدنية، بوسائل واعتدة كاملة فتتغلب – هذه القوى الثلاث – على الموانع الثمانية المذكورة وتقضي عليها. وذلك ببعثها روح التحري عن الحقائق، والانصاف والمحبـــة الانسانية وارسالها الى جبهات محاربة تلك الاعـــداء الثمانـــية.

وقد بدأت تهزّمها فعلاً، وسوف تقضي عليها قضاءً تاماً بعد نصف قرن ان شاء الله.

نعم، »الفضل ما شهدت به الاعداء«.

واليكم مثالين فقط من بين مئات الامثلة:

المثال الأول: ان مستر كارلايل احد مشاهير فلاسفة القرن التاســـع عشـــر واشـــهر فيلسوف من القارة الامريكية يلفت انظار الفلاسفة وعلماء النصرانـــيـــة بقـــولـــه:

»لقد جاء الاسلام على تلك الملل الكاذبة والنحل الباطلة فابتلعها وحق له ان يبتلعها، لأنه حقيقة خارجة من قلب الطبيعة، وما كاد يظهر الاسلام حتى احترقت فيه وثنيات العرب وجدليات النصرانية وكل ما لم يكن بحق فانها حطب ميت أكلته نار الاسلام فذهب، والنار لم تذهب«. [8]

ويزيد مستر كارلايل فيقول بحق الرسول)ص(:

»هو الرجل العظيم الذي علّمه الله العلم والحكمة فوجب علينا ان نصغي اليه قبل كل شئ«. [9]

ويقول ايضاً:

»ان كنت في ريب من حقائق الاسلام فالأولى بك أن ترتاب في البديهيات والضروريات القطعية، لأن الاسلام من أبده الحقائق واشدها ضرورة«.

وهكذا فقد سجّل هذا الفيلسوف الشهير هذه الحقائق حول الاسلام في اماكن متفرقة من مؤلفه.

المثال الثاني: هو الامير بسمارك [10] الذي يعتبر من أشهر رجال الفكر في تاريخ اوروبا الحديث. يقول هذا الفيلسوف:

»لقد درست الكتب السماوية بإمعان، فلم اجد فيها الحكمة الحقيقية التي تكفل سعادة البشرية، وذلك للتحريف الذي حصل فيها. ولكني وجدت قرآن محمد)ص(يعلو على سائر الكتب. وقد وجدت في كل كلمة منه حكمة. وليس هناك كتاب يحقق سعادة البشرية مثله. ولا يمكن أن يكون كتابٌ كهذا من كلام البشر. فالذين يدّعون ان هذه الاقوال اقوال

---

[8] من ترجمة الاستاذ محمد السباعي لكتاب »الابطال«. المترجم

[9] من ترجمة الاستاذ محمد السباعي لكتاب »الابطال«. المترجم

[10] من مشاهير السياسيين الالمان (1815 - 1898) وأحد الذين حققوا الوحدة الألمانية. وجعلوها في مقدمة الدول في القرن التاسع عشر. المترجم

محمد)ص(يكابرون الحق وينكرون الضرورات العلمية، أي أن كون القرآن كـــلام الله امـــرٌ بديهي«.

وهكذا تنتج حقول الذكاء في امريكا واوروبا محاصيل رائعة من امثال مستر كارلايـــل وبسمارك من جهابذة المحققين.

وفي ضوء هذه الحقيقة اقول وبكل اطمئنان واقتناع:

ان اوروبا وامريكا حَبَالى بالاسلام، وستلدان يوماً ما دولة اسلامية، كما حَبِلت الدولة العثمانية باوروبا وولدت دولة اوروبية.

ايها الاخوة في الجامع الاموي، ويا اخواني في الجامع الاسلامي بعد نصف قرن! أفلا تنتج المقدمات التي أسلفنا ذكرها حتى الآن:

أن الاسلام وحده سيكون حاكماً على قارات المستقبل حكماً حقيقياً ومعنوياً وان الذي سيقود البشرية الى السعادتين الدنيوية والاخروية ليس الاّ الاسلام والنصرانية الحقّة المنقلبة الى الاسلام والمتفقة معه والتابعة للقرآن بعد تحررها من التحريفات والخرافات!

الجهة الثانية: ان الاسلام مستعد للرقي المادي:

ان الاسباب القوية التي تدفع الاسلام الى الرقي تبين أن الاسلام سيسود المستقبل مادياً ايضاً.

فكما اثبتنا في الجهة الاولى استعداد الاسلام معنوياً للرقي تُظهر هذه الجهة اظهاراً واضحاً استعداد الاسلام للرقي المادي وسيادته في المستقبل. لأن في قلب الشخصية المعنوية للعالم الاسلامي قد اجتمعت وامتزجت خمس قوىً لا تُقهر، وهي في منتهى الرسوخ والمتانة :[11]

---

[11] نعم نفهم من استاذية القرآن واشارات درسه: ان القرآن بذكره معجزات الانبياء، انما يدل البشرية على ان نظائر تلك المعجزات سوف تتحقق في المستقبل بالترقي، ويحث الانسان على ذلك وكأنه يقول له: هيا اعمل وإسعَ لتنجز امثال هذه المعجزات، فاقطع مثلاً مسافة شهرين في يوم واحد كما قطعها سليمان عليه السلام، واعمل على مداواة اشد الامراض المستعصية كما داواها عيسى عليه السلام، واستخرج الماء الباعث على الحياة من الصخر وانقذ البشرية من العطش كما فعله موسى عليه السلام بعصاه. وابحث عن المواد التي تقيك شر الحرق بالنار، وألبسها كما لبسها ابراهيم عليه السلام. والتقط أبعد الاصوات واسمعها وشاهد الصور من اقصى المشرق والمغرب كما فعل ذلك بعض الانبياء. وألِن الحديد كالعجين كما فعله داود عليه السلام، واجعل الحديد كالشمع في يدك ليكون مداراً لجميع الصناعات البشرية، كما تستفيدون فوائد جمة من الساعة والسفينة اللتين هما من معجزات سيدنا يوسف

القوة الاولى:

»الحقيقة الاسلامية« التي هي استاذ جميع الكمالات والمثل، الجاعلة من ثلاثمائة وخمسين مليون مسلم كنفسٍ واحدة والمجهّزة بالمدنية الحقيقية والعلوم الصحيحة، ولها من القوة مـــا لا يمكن ان تهزمها قوة مهما كانت.

وسيدنا نوح عليهما السلام. فاعملوا على محاكاتهما وتقليدهما. وهكذا قياساً على هذا نجد أن القرآن الكريم يسوق البشرية الى الرقي المادي والمعنوي، ويلقي علينا الدروس ويثبت انه أستاذ الجميع. المؤلف.

القوة الثانية:

»الحاجة الملحة« التي هي الاستاذ الحقيقي للمدنية والصناعات والمجهّزة بالوسائل والمبادئ الكاملة.. وكذا »الفقر« الذي قصم ظهرنا. فالحاجة والفقر قوتان لاتسكتان ولا تُقهران.

القوة الثالثة:

»الحرية الشرعية« التي ترشد البشرية الى سبل التسابق والمنافسة الحقّة نحو المعالي والمقاصد السامية، والتي تمزق انواع الاستبداد وتشتتها، والتي تهيّج المشاعر الرفيعة لدى الانسان، تلك المشاعر المجهّزة بانماط من الاحاسيس كالمنافسة والغبطة والتيقظ التام والميل الى التجدد والتروع الى التحضر. فهذه القوة الثالثة: »الحرية الشرعية« تعني التحلي باسمى ما يليق بالانسانية من درجات الكمال والتشوق والتطلع اليها.

القوة الرابعة:

»الشهامة الايمانية« المجهّزة بالشفقة والرأفة. أي: ان لايرضى الذلّ لنفسه امام الظالمين، ولا يلحقه بالمظلومين. وبعبارة اخرى: عدم مداهنة المستبدّين وعدم التحكم بالمساكين أو التكبّر عليهم، وهذا أساس مهم من اسس الحرية الشرعية.

القوة الخامسة:

»العزة الاسلامية« التي تعلن اعلاء كلمة الله. وفي زماننا هذا يتوقف اعلاء كلمة الله على التقدم المادي والدخول في مضمار المدنية الحقيقية. ولاريب ان شخصية العالم الاسلامي المعنوية سوف تدرك وتحقق في المستقبل تحقيقاً تاماً ما يتطلبه الايمان من الحفاظ على عزة الاسلام..

وكما ان رقي الاسلام وتقدمه في الماضي كان بالقضاء على تعصب العدو وتمزيق عناده ودفع اعتداءاته.. وقد تم ذلك بقوة السلاح والسيف. فسوف تُغلب الاعداء وتُشتت شملهم بالسيوف المعنوية – بدلاً من المادية – للمدنية الحقيقية والرقي المادي والحق والحقيقة.

اعلموا أيها الاخوان!

ان قصدنا من المدنية هو محاسنها وجوانبها النافعة للبشرية، وليس ذنوبها

وسيئاتها، كما ظن الحمقى من الناس أن تلك السيئات محاسن فقلّدوها وخرّبوا الديار، فقدموا الدين رشوة للحصول على الدنيا فما حصلوا عليها ولا حصلوا على شئ.

انه بطغيان ذنوب المدنية على محاسنها، ورجحان كفة سيئاتها على حسناتها، تلقت البشرية صفعتين قويتين بحربين عالميتين، فأتتا على تلك المدنية الآثمة، وقاءت دماءً لطخت وجه الارض برمتها. وسوف تتغلب باذن الله محاسن المدنية بفضل قوة الاسلام التي ستسود في المستقبل، وتطهّر وجه الارض من الأدناس وتحقق ايضاً سلاماً عاماً للبشرية قاطبة.

نعم لما كانت مدنية اوروبا لم تتأسس على الفضيلة والهدى بل على الهوس والهوى، وعلى الحسد والتحكم، تغلبت سيئات هذه المدنية على حسناتها الى الان. واصبحت كشجرة منخورة بديدان المنظمات الثورية الارهابية ، وهذا دليل قوي ومؤشر على قرب انهيارها وسبب مهم لحاجة العالم الى مدنية آسيا »الاسلامية« التي ستكون لها الغلبة عن قريب.

فاذا كان امام اهل الايمان والاسلام امثال هذه الاسباب القوية والوسائل القويمة للرقي المادي والمعنوي، وطريقٌ سويٌ ممهد كسكة الحديد للوصول الى السعادة في المستقبل، فكيف تيأسون، وتثبطون روح العالم الاسلامي المعنوية وتظنون ظن السوء وفي يأس وقنوط: أن الدنيا دار ترقٍ وتقدم للاجانب وللجميع بينما اصبحت دار تدنٍ وتأخّر للمسلمين المساكين وحدهم. انكم بهذا ترتكبون خطأً شنيعاً.

اذ ما دام الميل نحو الكمال قانوناً فطرياً في الكون وقد أُدرج في فطرة البشرية، فان الحق والحقيقة سيظهران في المستقبل على يد العالم الاسلامي ان شاء الله سعادةً دنيوية ايضاً كفّارة لما اقترفته البشرية من آثام، مالم تقم قيامة مفاجئة بما ارتكبت من مفاسد ومظالم.

فانظروا الى الزمن، انه لايسير على خط مستقيم حتى يتباعد المبدأ والمنتهى، بل يدور ضمن دائرة كدوران كرتنا الارضية. فتارة يرينا الصيف والربيع في حال الترقي، وتارة يرينا الشتاء والخريف في حال التدني. وكما ان الشتاء يعقبه الربيع والليل

يخلفه النهار، فسيكون للبشرية ربيع ونهار ان شاء الله، ولكم ان تنتظروا من الرحمة الالهية شروق شمس حقيقة الاسلام، فتروا المدنية الحقيقية في ظل سلام عام شامل.

لقد قلنا في بداية هذا الدرس اننا سنقيم برهاناً ونصف برهان على دعوانا. وقد انتهى الآن البرهان مجملاً.

وجاء دور نصف البرهان وهو الآتي:

لقد ثبت بالبحث والتحري الدقيق والاستقراء والتجارب العديدة للعلوم أن:

الخير والحسن والجمال والاتقان والكمال هو السائد المطلق في نظام الكون وهو المقصود لذاته، أي هو المقاصد الحقيقية للصانع الجليل. بدليل ان كل علمٍ من العلوم المتعلّقة بالكون يطلعنا بقواعده الكلية على ان في كل نوع وفي كل طائفة انتظاماً وابداعاً بحيث لايمكن للعقل أن يتصور أبدع واكملَ منه.

فمثلاً: علم التشريح الذي يخص الطب، علم المنظومة الشمسية الذي يخص الفلك وبقية العلوم التي تخص النباتات والحيوانات، كل منها تفيدنا بقواعدها الكلية وبحوثها المتعددة النظام المتقن للصانع الجليل في ذلك النوع وقدرته المبدعة وحكمته التامة فتبيّن جميعها حقيقة الآية الكريمة (الذي احسَن كلَّ شيءٍ خَلقَه) (السجدة: 7)

كما ان الاستقراء التام والتجارب الشاملة يثبت أن:

الشر والقبح والباطل والسيئات جزئي وتَبَعي وثانوي في خلقة الكون.

فالقبح مثلاً في الكون والمخلوقات ليس هدفاً لذاته وانما هو وحدة قياسية، لتنقلب حقيقةٌ واحدة للجمال الى حقائق كثيرة. والشر كذلك، بل حتى الشيطان نفسه انما خلق وسلّط على البشرية ليكون وسيلة لترقيات البشر غير المحدودة نحو الكمال التي لا تُنال إلاّ بالتسابق والمجاهدة.

وامثال هذه الشرور والقبائح الجزئية خُلقت في الكون لتكون وسيلة لإظهار انواع الخير والجمال الكليين. وهكذا يثبت بالاستقراء التام أن المقصد الحقيقي في الكون والغاية الاساسية في الخلق انما هو: الخير والحسن والكمال، لذا فالانسان الذي لوّث وجه الارض بكفره الظالم

وعصيانه الله لايمكن ان يفلت من العقاب، ويذهب الى العدم من دون ان يحق عليه المقصـــود الحقيقي في الكون. بل سيدخل سجن جهنم!

كما ثبت بالاستقراء التام وتحريات العلوم وابحاثها ان الانسان هو اكـــرم المخلوقـــات واشرفها. لأنه يستطيع أن يكشف بعقله عن مراتب الاسباب الظاهرية في خلـــق الكائنـــات ونتائجها، ويعرف العلاقات بين العلل والاسباب المتسلسلة، ويستطيع ان يقلّد بمهارته الجزئية الصنائع الالهية والايجاد الرباني المنتظم الحكيم، ويستطيع أن يدرك بعلمه الجزئـــي وبمهارتـــه الجزئية اتقان الافعال الالهية، وذلك بجعل ما لديه من جزء اختياري ميزاناً جزئيـــاً ومقياســـاً مصغّراً لدرك تلك الافعال الالهية الكلية والصفات الجليلة المطلقة.

كل ذلك يثبت ان الانسان اشرف مخلوق واكرمه.

وثبت ايضاً بشهادة الحقائق التي قدّمها الاسلام للبشرية والتي تخص البشر والكائنـــات: ان المسلمين هم افضل البشر واشرفهم وهم اهل الحق والحقيقة، كما ثبت بشهادة التـــاريخ والوقائع والاستقراء التام: ان اشرف اهل الحق المشرَّفين من بين البشر المكرَّمين وأفضلَهم هو محمد)ص(الذي يشهد له ألفٌ من معجزاته وسمو اخلاقه ومكارمـــه وحقـــائق الاســـلام والقرآن.

ولما كان نصف البرهان هذا قد بين هذه الحقائق الثلاث أفيمكن أن يقدح نوعُ البشـــر بشقاوته شهادةَ هذه العلوم جميعها، وينقض هذا الاستقراء التام، ويتمرّد في وجه المشيئة الالهية والحكمة الازلية؛ فيستمر في قساوته الظالمة وكفره المتمرد ودماره الرهيـــب ؟ أفـــيمكن ان تستمر هذه الحالة في عداء الاسلام هكذا؟

انني اقسم بما آتاني الله من قوة بل لو كان لي مالايعد ولايحصى من الألسنة لأقسمت بها جميعاً، بالذي خلق العالم بهذا النظام الاكمل، وخلق الكون في منتهى الحكمة والانتظام مـــن الذرات الى السيارات السابحات في اجواز الفضاء، ومن جناح البعوضة الى قناديـــل النجـــوم المتلألئة في السموات، ذلكم الحكيم ذو الجلال والصانع ذو الجمال، أقسم به سبحانه بألسنة لا تحد انه لا يمكن ان يخرج البشر على سنة الله الجارية في الكون ويخالف بقية اخوانـــه مـــن طوائف المخلوقات بشروره الكلية ويقضي بغلبة الشر على الخير فيهضم تلك المظالم الزقومية على مدى ألوف السنين! فهذا لا يمكن قطعاً!

نعم، انه لا يمكن ذلك إلاّ بافتراضٍ محالٍ هو أن الانسان ليس خليفـــة الله في الارض، الحامل للأمانة الكبرى والاخ الاكبر الاكرم لسائر انواع المخلوقات، انما هـــو ادنى مخلـــوق واردأه وارذله واضرّه وأحقره، دخل الكون متلصصاً ليفسده! فهذا الفرض المحال باطل مـــن اساسه لا يمكن قبوله باية جهة كانت.

فلأجل هذه الحقيقة يمكن أن نستنتج من نصف برهاننا هذا:

كما أن وجود الجنة والنار ضروري في الآخرة فان الغلبة المطلقة ستكون للخير وللدين الحق في المستقبل، حتى يكون الخير والفضيلة غالبين في البشرية كما هو الامر في سائر الانواع الاخرى، وحتى يتساوى الانسان مع سائر اخوانه من الكائنات، وحتى يحق ان يقال: انه قـــد تحقق وتقرر سرّ الحكمة الازلية في النوع البشري أيضاً.

وحاصل الكلام:

ما دام البشر – طبقاً للحقائق المذكورة القاطعة – افضل نتيجة منتَخبة من الكائنات، وأنه أكرم مخلوق لدى الخالق الكريم، وان الحياة الباقية تقتضي وجود الجنة وجهنم بالبداهة، فتستلزم المظالم التي ارتكبتها البشرية حتى الآن وجود جهنم، كما تستلزم ما في اســـتعداداته الكمالية المغروزة في فطرته وحقائقه الايمانية التي تهم الكائنات بأسرها وجود الجنة بالبداهـــة، فلابد، ولامحالة ان البشر لن يهضموا ولن يغفروا الجرائم التي ارتكبت خلال الحربين العظيمتين والتي جرت الويلات والمصائب على العالم باجمعه واستقاءت زقوم شرورها التي استعصـــت على الهضم فلطّخت وجه الارض، وتركت البشرية تعاني البؤس والشقاء وهـــدمت صـــرح المدنية الذي بنته البشرية طوال الف عام. فما لم تقم قيامة مفاجئة على البشرية فاننا نرجو من رحمة الرحمن الرحيم، ان تكون الحقائق القرآنية وسيلة لانقاذ البشرية من السقوط الى أســـفل سافلين، وتطهّر وجه الارض من الادناس والادران وتقيم سلاماً عاماً شاملاً.

الكلمة الثانية

»اليأس داء قاتل«

ان مما املت عليّ تجاربي في الحياة وتمخض فكري عنه هو: ان اليأس داء قاتل، وقد دبّ في صميم قلب العالم الاسلامي. فهذا اليأس هو الذي اوقعنا صرعى - كالاموات - حتى تمكنت دولة غربية لايبلغ تعدادها مليوني نسمة من التحكم في دولة شرقية مسلمة ذات العشرين مليون نسمة فتستعمرها وتسخرها في خدمتها.. وهذا اليأس هو الذي قتل فينا الخصال الحميدة وصرف انظارنا عن النفع العام وحصرها في المنافع الشخصية.. وهذا اليأس هو الذي أمات فينا الروح المعنوية التي بها استطاع المسلمون ان يبسطوا سلطانهم على مشارق الارض ومغاربها بقوة ضئيلة، ولكن ما ان ماتت تلك القوة المعنوية الخارقة باليأس حتى تمكّن الاجانب الظلمة - منذ اربعة قرون - ان يتحكموا في ثلاثمائة مليون مسلم ويكبلوهم بالاغلال.

بل قد اصبح الواحد بسبب هذا اليأس يتخذ من فتور الآخرين وعدم مبالاتهم ذريعة للتملص من المسؤولية، ويخلد الى الكسل قائلاً: »مالي وللناس، فكل الناس خائرون مثلي« فيتخلى عن الشهامة الايمانية ويترك العمل الجاد للاسلام.

فما دام هذا الداء قد فتك فينا الى هذا الحد، ويقتلنا على مرآى منا، فنحن عازمون على ان نقتصّ من قاتلنا، فنضرب رأس ذلك اليأس بسيف الآية الكريمة: (لا تقنطوامن رحمة الله) (الزمر: 53). ونقصم ظهره بحقيقة الحديث الشريف: (ما لا يدرك كله لا يترك جلّه).

ان اليأس داء عضال للأمم والشعوب، أشبه ما يكون بالسرطان... وهو المانع عن بلوغ الكمالات، والمخالف لروح الحديث القدسي الشريف: (انا عند ظن عبدي بي).. وهو شأن الجبناء والسفلة والعاجزين وذريعتهم، وليس هو من شأن

الشهامة الاسلامية قط.. وليس هو من شأن العرب الممتازين بسجايا حميدة هـــي مفخـــرة البشرية. فلقد تعلّم العالم الاسلامي من ثبات العرب وصمودهم الدروس

والعبر. وأملنا بالله عظيم أن يتخلى العرب عن اليأس ويَمدّوا يـــدَ العـــون والوفـــاق الصادق الى الترك الذين هم جيش الاسلام الباسل فيرفعوا معاً راية القرآن عاليـــة خفّاقـــة في ارجاء العالم،ان شاء الله.

الكلمة الثالثة

»الصدق اساس الاسلام«

لقد علمتني زبدة تتبّعاتي وتحقيقاتي في الحياة بتمخض الحياة الاجتماعية أن:

»الصدق« هو أس اساس الاسلام، وواسطة العِقد في سجاياه الرفيعة ومزاج مشـــاعره العلوية. فعلينا اذاً أن نحيي الصدق الذي هو حجر الزاوية في حياتنا الاجتماعيـــة في نفوســـنا ونداوي به امراضنا المعنوية.

اجل! ان الصدق هو عقدة الحياة في حياة الاسلام الاجتماعية. أما الرياء فهو نوع من الكذب الفعلي، وأما المداهنة والتصنع فهو كذب دنئ مرذول. أما النفاق فهو كذب ضـــار جداً. والكذب نفسه انما هو افتراء على قدرة الصانع الجليل.

ان الكفر بجميع انواعه كذب. والايمان انما هو صدق وحقيقة. وعلى هذا فالبون شاسع بين الصدق والكذب بُعدَ ما بين المشرق والمغرب. وينبغي ان لا يختلط الصـــدق والكـــذب اختلاط النور والنار، ولكن السياسة الغادرة والدعاية الظالمة قد خلطتـــا احـــدهما بـــالآخر. فاختلطت كمالات البشرية ومثلها بسفسافها ونقائصها [12].

---

[12] اخواني! يُفهم من هذا الدرس الذي ألقاه »سعيد القديم« قبل خمس واربعين سنة: ان سعيداً ذاك كان وثيق الصلة بالسياسة وبشؤون الاسلام الاجتماعية. ولكن حذار أن يذهب بكم الظن الى انه قد نهج اتخاذ الدين اداة للسياسة ووسيلة لها. كلا! بل كان يعمل بكل ما لديه من قوة على جعل السياسة اداةً للدين، وكان يقول:»اني افضل حقيقة واحدة من حقائق الدين على ألف قضية سياسية من سياسات الدنيا«.

نعم، لقد احسّ آنذاك – قبل ما يقارب الخمسين عاماً – ان بعض الزنادقة المنافقين يحاولون جعل الدين آلة للسياسة، فعمل هو أيضاً – بكل قوة – في مواجهة نواياهم ومحاولاتهم الفكرية تلك على جعل

ان الصدق والكذب بعيدان احدهما عن الآخر بُعد الكفر عن الايمان. فان عروج محمد)ص(في خير القرون الى اعلى عليين بوساطة الصدق وما فتحه من كنوز حقـــائق الايمـــان واسرار الكون.. جعل الصدق أروَجَ بضاعة واثمن متاع في سوق الحياة الاجتماعية. بينمـــا تردّى مسيلمة الكذاب وامثاله الى اسفل سافلين بالكذب؛ اذ لما حدث ذلك الانقلاب العظيم في المجتمع تبين ان الكذبَ هو مفتاح الكفر والخرافات، وأفسدُ بضاعة واقذرها. فالبضاعة التي تثير التقزز والاشمئزاز لدى جميع الناس الى هذا الحد لا يمكن ان تمتد اليها يدُ أولئـــك الـــذين

السياسة وسيلة من وسائل تحقيق حقائق الاسلام وخادمة لها.

بيد انه رأى بعد ذلك بعشرين سنة ان بعض الساسة المتدينين يبذلون الجهد لجعل الدين أداة للسياسة الاسلامية، تجاه جعل اولئك الزنادقة المنافقين المتسترين، الدين آلةً للسياسة بحجة التغرّب. ألا إن شمس الاسلام لن تكون تابعة لأضواء الارض ولا أداة لها. وان محاولة جعلها آلة لها تعني الحط من كرامة الاسلام ، وهي جناية كبرى بحقه حتى ان»سعيداً القديم« قد رأى من ذلك النمط من التحيز الى السياسة: ان عالماً صالحاً قد اثنى بحرارة على منافق يحمل فكراً يوافق فكره السياسي وانتقد عالماً صالحاً آخر يحمل افكاراً تخالف افكاره السياسية، == حتى وَصَمَه بالفسق. فقال له» سعيد القديم«: لو ان شيطاناً أيّد فكرك السياسي لأمطرتَ عليه الرحمات، اما اذا خالف أحدٌ فكرك السياسي للعنته حتى لو كان مَلَكاً !«. لأجل هذا قال »سعيد القديم« منذ خمس وثلاثين سنة »اعوذ بالله من الشيطان والسياسة« وترك السياسة . المؤلف.

و لما كان سعيد الجديد قد ترك السياسة كلياً ولا ينظر اليها قطعاً، فقد تُرجمت هذه الخطبة الشامية لسعيد القديم التي تمس السياسة.

ثم انه لم يثبت انه استغل الدين كاداة للسياسة طوال حياته التي استغرقت اكثر من ربع قرن، وفي مؤلفاته ورسائله التي تربو على مئة وثلاثين رسالة والتي دققت بأمعان من قبل خبراء مئات المحاكم بل حتى في احلك الظروف التي تلجئه الى السياسة لشدة مضايقات الظلمة المرتدين والمنافقين، بل حتى عندما أُصدر أمر اعدامه سراً، لم يجد أحدٌ منهم اية أمارة كانت عليه حول إستغلاله الدين لأجل السياسة.

فنحن طلاب النور نرقب حياته عن كثب ونعرفها بدقائقها لا نملك انفسنا من الحيرة والاعجاب ازاء هذه الحالة، ونعدّها دليلاً على الاخلاص الحقيقي ضمن دائرة رسائل النور. – طلاب النور.

كانوا في الصف الاول من ذلك الانقلاب العظيم، اولئك الصحابة الكرام الذين فُطروا على تناول اجود المتاع واثمنه وافخره، وحاشاهم ان يلوثوا ايديهم المباركة بالكذب ويمدوها عمداً الى الكذب ويتشبّهوا بمسيلمة الكذاب. بل كانوا بميولهم الفطرية السليمة وبكل ما اوتوا من قوة في طليعة المبتاعين للصدق الذي هو أروج مال واقوم متاع بل هو مفتاح جميع الحقائق ومرقاة عروج محمد)ص(الى اعلى عليين. ولأن الصحابة الكرام قد لازموا الصدق و لم يحيدوا عنه ما امكنهم ذلك فقد تقرر لدى علماء الحديث والفقه »ان الصحابة عدول، رواياتهم لا تحتاج الى تزكية، كل ما رووه من الاحاديث عن النبي)ص(صحيح«. فهذه الحقيقة المذكورة حجة قاطعة على إتفاق هؤلاء العلماء.

وهكذا فان الانقلاب العظيم الذي حدث في خير القرون ادّى الى أن يكون البون شاسعاً بين الصدق والكذب كما هو بين الكفر والايمان. الاّ أنه بمرور الزمن قد تقاربت المسافة بين الصدق والكذب، بل اعطت الدعايات السياسية احياناً رواجاً اكثر للكذب. فبرز الكذب والفساد في الميدان واصبح لهما المجال الى حدٍ ما.

وبناءً على هذه الحقيقة فان احداً من الناس لايمكن ان يبلغ مرتبة الصحابة الكرام.

نكتفي هنا بهذا القدر ونحيل القارئ الكريم الى رسالة الصحابة التي هي ذيل الكلمة السابعة والعشرين رسالة »الاجتهاد«.

ايها الاخوة في هذا الجامع الاموي ويا اخوتي الاربعمائة مليوناً من المؤمنين بعد اربعين عاماً في جامع الاسلام الكبير.

لا نجاة الاّ بالصدق، فالصدق هو العروة الوثقى، أما الكذب للمصلحة فقد نَسخَه الزمان، ولقد أفتى به بعض العلماء »مؤقتاً« للضرورة والمصلحة، الاّ أن في هذا الزمان لا يعمل بتلك الفتوى. إذ أُسئ استعماله الى حد لم يعد فيه نفعٌ واحد الاّ بين مئةٍ من المفاسد. ولهذا لا تُبنى الاحكام على المصلحة.

مثال ذلك: ان سبب قصر الصلاة في السفر هو المشقة، ولكن لا تكون المشقة علة القصر. اذ ليس لها حدّ معين، فقد يُساء استعمالها، لذا لاتكون العلة الاّ السفر. فكذلك المصلحة لا يمكن ان تكون علّة للكذب لأنه ليس للكذب حدّ معين، وهو مستنقع ملائم لسوء الاستعمال، فلا يناط به الحكم. وعلى هذا فالطريق اثنان لاثالث له: »اما الصدق واما السكوت« وليس الصدق او الكذب او السكوت قطعاً.

ثم ان انعدام الأمن والاستقرار في الوقت الحاضر بالكذب الرهيب الذي تقترفه البشرية وبتزييفها وافتراءاتها، ما هو إلاّ نتيجة كذبها وسوء استعمالها للمصلحة، فلا مناص للبشرية إلاّ سدّ ذلك الطريق الثالث، وإلاّ فان ما حدث خلال نصف هذا القرن من حروب عالمية وانقلابات رهيبة ودمار فظيع قد يؤدي الى أن تقوم قيامة على البشرية.

أجل! عليك ان تصدق في كل ما تتكلمه ولكن ليس صواباً ان تقول كل صدق، فاذا ما ادّى الصدق احياناً الى ضرر فينبغي السكوت. اما الكذب فلايسمح له قطعاً.

عليك ان تقول الحق في كل ما تقول ولكن لا يحق لك أن تقول كل حق، لأنه ان لم يكن الحق خالصاً فقد يؤثر تأثيراً سيئاً، فتضع الحق في غير محله.

الكلمة الرابعة

»المـــحـــبـــــة«

ان مما تعلمته من الحياة الاجتماعية البشرية طوال حياتي، وما أملَتــه علــيّ التتبعــات والتحقيقات هو:

ان اجدر شئ بالمحبة هو المحبة نفسها. واجدر صفة بالخصومة هي الخصومة نفسها. أي ان صفة المحبة التي هي ضمان الحياة الاجتماعية البشرية والتي تدفع الى تحقق السعادة هي أليق للمحبة، وان صفة العدواة والبغضاء التي هي عامل تدمير الحياة الاجتماعية وهدمها هي اقبح صفة واضرها واجدر أن تُتجنب وتُنفَر منها. ولما كنا قد اوضحنا هذه الحقيقة في المكتــوب الثاني والعشرين (رسالة الاخوة) نشير اليها هنا اشارة مقتضبة:

لقد انتهى عهد العداوة والخصام. ولقد اظهرت الحربان العالميتان مــدى مــا في روح العداوة من ظلم فظيع ودمار مريع. وتبين ان لا فائدة منها البتة. وعليه فلا ينبغي ان تجلــب سيئات اعدائنا – بشرط عدم التجاوز– عداوتنا، فحسبهم العذاب الالهي ونار جهنّم.

ان غرور الانسان وحبّه لنفسه قد يقودانه احياناً الى عداء اخوانه المؤمنين ظلماً ومــن دون شعور منه فيظن المرء نفسه محقاً. مع ان مثل هذه العداوة تعــدّ اســتخفافاً بالوشــائج والاسباب التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض – كالايمان والاسلام والانسانية – وحطــاً مــن شأنها. وهي اشبه ما يكون بحماقة من يرجّح اسباباً تافهة للعداوة كالحصيات على اســباب بجسامة الجبال الراسيات للودّ والمحبة.

فما دامت المحبة مضادة للعداوة ومنافية لها فلا تجتمعان قطعاً كما لا تجتمــع الظلمــة والنور، فالذي تتغلب اسبابُه على الآخر هو الذي يجد موضعه في القلب بحقيقته. اما ضده فلا يكون بحقيقته.

فمثلاً: اذا وجدت المحبة بحقيقتها في القلب فان العداوة تنقلب حينئذ الى الرأفة والشفقة. فهذا هو الوضع تجاه اهل الايمان. اما اذا وجدت العداوة بحقيقتها في

القلب، فان المحبة تنقلب عندها الى المداراة والمماشاة والصداقة الظاهرية. فهـــذا انمـــا يكون مع ارباب الضلال غير المتجاوزين.

أجل! ان اسباب المحبة هي الايمان والاسلام والانسانية وامثالها من السلاسل النورانيـــة المتينة والحصون المعنوية المنيعة. أما اسباب العداوة والبغضاء تجاه المؤمن فانما هي امور خاصة تافهة تفاهة الحصيات. لذا فان اضمار العداء لمسلم اضماراً حقيقياً، انما هو خطأ جسيم لأنه استخفاف باسباب المحبة التي هي اشبه بالجبال.

نحصل مما سبق:

ان الود والمحبة والاخوة هي من طباع الاسلام وروابطه. والذي يحمل في قلبه العداء فهو أشبه ما يكون بطفل فاسد المزاج يروم البكاء بادنى مبرر للبكاء، وقد يكون ما هو اصغر من جناح ذبابة كافياً لدفعه الى البكاء. أو هو أشبه ما يكون برجل متشائم لا يحسن الظن بشئ ما دام سوء الظن ممكناً. فيحجب عشر حسناتٍ للمرء بسيئة واحدة. ومن المعلوم ان هـــذا منافٍ كلياً للخلق الاسلامي القاضي بالانصاف وحسن الظن.

الكلمة الخامسة

»تضاعف السيئات والحسنات«

ان الدرس الذي تعلمته من الشورى الشرعية هو: أن سيئة امرئٍ واحدٍ في هذا الزمان، لا تبقى على حالها سيئة واحدة، وانما قد تكبر وتسري حتى تصبح مائة سيئة. كما ان حسنة واحدة ايضاً لا تبقى على حالها حسنة واحدة بل قد تتضاعف الى الالاف. وحكمـــة هـــذا وسره هو: ان الحرية الشرعية والشورى المشروعة قد أظهرتا سيادة امتنا الحقيقية. اذ إن حجر الاساس في بناء امتنا وقوام روحها انما هو الاسلام، وان الخلافة العثمانية والجيش التركي من حيث كونهما حاملين لراية تلك الامة الاسلامية فهما بمثابة الصَدَفة والقلعة للأمة، وان العرب والترك هما الاخوان الحقيقيّان وسيظلان حارسين امينين لتلك القلعة المنيعة، والصَدَفة المتينة.

وهكذا فبفضل هذه الرابطة المقدسة التي تشد الامة الاسلامية بعضها بـــبعض يصـــبح المسلمون كافةً كعشيرة واحدة. فترتبط طوائف الاسلام برباط الاخوة الاسلامية كما يرتبط افراد العشيرة الواحدة ويمد بعضهم بعضاً معنويّاً، واذا اقتضى الامر فمادياً، وكأن الطوائـــف الاسلامية تنتظم جميعها كحلقات سلسلة نورانية. فكما اذا ارتكب فرد في عشيرة ما جريمـــة فان عشيرته بأسرها تكون مسؤولة ومتّهمة في نظر العشيرة الاخرى وكأن كل فرد من تلك العشيرة هو الذي قد ارتكب الجريمة، فتلك الجريمة قد اصبحت بمثابة الالوف منها، كذلك اذا قام احد افراد تلك العشيرة بحسنةٍ واحدة افتخر بها سائر أفراد العشيرة وكأن كل فرد منها هو الذي كسب تلك الحسنة.

فلأجل هذه الحقيقة فان في زماننا هذا ولاسيما بعد اربعين او خمسين سنة ليس المســـئ هو وحده المسؤول عن سيئته، بل تتضرر الامة الاسلامية بملايينها بتلك السيئة. وستظهر امثلة هذه الحقيقة بكثرة بعد اربعين او خمسين سنة.

يا اخواني المستمعين الى اقوالي في هذا الجامع الاموي. ويا ايها الاخوان المســـلمون في جامع العالم الاسلامي بعد اربعين او خمسين عاماً!

لايعتذرنّ احدكم بالقول: »اننا لانضرّ احداً ولكننا لانستطيع ان ننفع احـــداً أيضـــاً. فنحن معذورون اذن«. فعذركم هذا مرفوض، اذ ان تكاسلكم وعدم مبالاتكم وتقاعســـكم عن العمل لتحقيق الاتحاد الاسلامي والوحدة الحقيقية للأمة الاسلامية، انما هو ضـــرر بـــالغ وظلم فاضح.

وهكذا فكما ان سيئة واحدة تتضاعف الى الالوف فان حسنة واحدة في زماننا هذا – واعني بالحسنة هنا ما يتعلق بقدسية الاسلام – لاتقتصر فائدتها على فاعلها وحده بل يمكـــن ان تتعداه ليعم نفعها – معنوياً – ملايين المسلمين ويشدّ من حياتهم المادية والمعنوية.

وعليه فان هذا الزمان ليس زمان الانطراح على فراش الكسل والخلود الى الراحة وعدم المبالاة بالمسلمين بترديد:»انا مالي«.

يا اخوتي في هذا الجامع ويا اخواني في مسجد العالم الاسلامي الكبير بعد اربعين او خمسين عاماً!

لا يذهب بكم الظن انني صعدت هذا المنبر لارشدكم وانصحكم. بل ما صعدته إلاّ لأذكر حقنا عليكم واطالبكم به، اذ إن مصالح الطوائف الصغيرة وسعادتها الدنيوية والاخروية ترتبط بامثالكم من الطوائف الكبيرة العظيمة، والحكام والأساتذة من العرب والترك. فان تكاسلكم وتخاذلكم يضران باخوانكم من الطوائف الصغيرة من امثالنا ايما ضرر. وانني اوجه كلامي هذا بوجه خاص اليكم يامعشر العرب العظماء الأماجد، ويا من أخذتم من التيقظ حظاً او ستتيقظون تيقظاً تاماً في المستقبل؛ لانكم اساتذتنا واساتذة جميع الطوائف الاسلامية وائمتها، فانتم مجاهدو الاسلام الأوائل، ثم جاءت الامة التركية العظيمة لتمدّ وظيفتكم المقدسة تلك ايّما امداد. لذا فان ذنبكم عظيم بالتكاسل والتقاعس، كما ان حسناتكم جليلة وسامية أيضاً. ولا سيما نحن على أمل عظيم برحمة الله انه بعد مرور اربعين أو خمسين عاماً تتحدون فيما بينكم – كما اتحدت الجماهير الامريكية – وتتبوأون مكانتكم السامية وتوفّقون باذن الله الى انقاذ السيادة الاسلامية المأسورة وتقيمونها كالسابق في نصف الكرة الارضية بل في معظمها. فان لم تقم القيامة فجأة فسيرى الجيل المقبل هذا الامل.

فيا اخوتي الكرام!

ارجو ان لا يذهب بكم الظن بأنني بكلامي هذا استنهض هممكم للاشتغال بالسياسة – حاش لله – فان حقيقة الاسلام اسمى من كل سياسة بل جميع اصناف السياسة واشكالها يمكن ان تسير في ركاب الاسلام وتخدمه وتعمل له، وليس لأية سياسة كانت ان تستغل الاسلام لتحقيق اغراضها.

فانا بفهمي القاصر أتصور المجتمع الاسلامي ككل – في زماننا هذا – اشبه ما يكون بمصنع ذي تروس وآلات عديدة. فاذا ما تعطل ترس من ذلك المصنع أو تجاوز على رفيقه الترس الآخر فسيختل حتماً نظام المصنع الميكانيكي. لذا فقد آن أوان الاتحاد الاسلامي وهو

على وشك التحقق. فينبغي ان تصرفوا النظر عن تقصيراتكم الشخصية، وليتجاوز كلٌ عـــن الآخر.

وهنا انبّه ببالغ الاسى والاسف الى أن قسماً من الاجانب كما سلبوا اموالنا الثمينة واوطاننا، بثمن بخسٍ دارهم معدودة مزوّرة، كذلك فقد سلبوا منا قسماً من اخلاقنا الرفيعة وسجايانا الحميدة والتي بها يترابط مجتمعنا، وجعلوا تلك الخصال الحميدة محوراً لرقيهم وتقدمهم، ودفعوا الينا نظير ذلك رذائل طباعهم وسفاهة اخلاقهم.

فمثلاً: ان السجية الملّية التي اخذوها منا هي قول واحدٍ منهم:

»إن متّ انا فلتحيا امتي، فان لي فيها حياة باقية« هذه السجية أقوى اساس وأمتنه لرقيهم وتقدمهم، قد سرقوها منا؛ إذ هذه الكلمة انما تنبع من الدين الحق ومن حقائق الايمان، فهي لنا وللمؤمنين جميعاً، بينما دخلت فينا اخلاق رذيلة وسجايا فاسدة، فترى ذلك الاناني الذي فينا يقول: »اذا متّ ظمآناً فلا نزل القطر« و»ان لم ارَ السعادة فعلى الدنيا العفاء!« فهذه الكلمة الحمقاء انما تنبع من عدم وجود الدين ومن عدم معرفة الاخرة، فهي دخيلة علينا تسمّمنا. ثم ان تلك السجية الغالية عندما سرت الى الاجانب اكتسبت كل فرد منهم قيمة عظيمة حتى كأنه أمة وحده؛ لان قيمة الشخص بهمّته، فمن كانت همته امته فهو بحد ذاته امة صغيرة قائمة.

وبسبب عدم تيقظ أناس منا، وبحكم اخذنا الاخلاق الفاسدة من الاجانب فان هناك مَن يقول: » نفسي نفسي« مع ما في امتنا الاسلامية من سمو وقدسية. فألف رجل مثل هذا الشخص الذي لا يفكر الاّ بمصلحته الشخصية ولا يبالي بمصلحة الأمة، انما يترل بمترلة شخص واحد.

[مَن كانت همتُه نفسَه فليس من الانسان لأنه مدني بالطبع] فهو مضطر لأن يراعي ابناء جنسه، فان حياته الشخصية يمكن ان تستمر بحياته الاجتماعية. فمثلاً:

ان الذي يأكل رغيفاً عليه ان يفكّر كم يحتاج الى الايدي التي تحضر له ذلك الرغيف. فهو يقبّل تلك الايدي معنى.

وكذا الثوب الذي يلبسه، كم من الايدي والالات والاجهزة تضافرت لتهيئته وتجهيزه. وقيسوا على منوال هذين المثالين لتعلموا ان الانسان مفطور على الارتباط بابناء جنسه من

الناس لعدم تمكنه من العيش بمفرده وهو مضطر الى ان يعطي لهم ثمناً معنوياً لدفع احتياجاته، لذا فهو مدين فطرة. فالذي يحصر نظره في منافعه

الشخصية وحدها انما ينسلخ من الانسانية ويصبح حيواناً مفترساً، اللهم إلاّ من لاحيلة له، وله معذرة حقيقية.

الكلمة السادسة

»الشـــــورى«

ان مفتاح سعادة المسلمين في حياتهم الاجتماعية انما هو »الشورى« فالآية الكريمـــــة تأمرنا باتخاذ الشورى في جميع امورنا،اذ يقول سبحانه: (وأمرُهـــُم شورى بينهم) (الشورى: 38).

اجل فكما أن تلاحق الافكار بين ابناء الجنس البشري انما هو شورى على مر العصور بوساطة التاريخ، حتى غدا مدار رقي البشرية واساس علومها، فان سبب تخلف القارة الكبرى التي هي آسيا عن ركب الحضارة انما هو لعدم قيامها بتلك الشورى الحقيقية.

ان مفتاح قارة آسيا وكشاف مستقبلها انما هـــو الشـــورى، أي: كمـــا ان الافـــراد يتشاورون فيما بينهم، كذلك ينبغي ان تسلك الطوائف والاقاليم المسلك نفسه فتتشاور فيما بينها. ان فك انواع القيود التي كبّلت ثلاثمائة بل اربعمائة مليون مسلم، ورفع انواع الاستبداد عنهم انما يكون بالشورى والحرية الشرعية النابعة من الشهامة الاسلامية والشفقة الايمانيـــة، تلك الحرية الشرعية التي تتزين بالاداب الشرعية وتنبذ سيئات المدنية الغربية.

ان الحرية الشرعية النابعة من الايمان انما تأمر باساسين:

1- [ان لا يُذَلَّل»المسلمُ« ولايَتَذلَّل.. من كان عبداً لله لا يكون عبداً للعباد].

2- [ان لايجعل بعضكُم بعضاً اراباباً من دون الله]. اذ من لا يعرف الله حق معرفتـــه يتوهم نوعاً من الربوبية لكل شئ، في كل حسب نسبته فيسلّطه على نفسه.

[نعم ان الحرية الشرعية عطية الرحمن] وتجلٍ من تجليات الخالق الرحمن الرحيم، وهـــي خاصّة من خصائص الايمان.

فليحيا الصدقُ، ولا عاش اليأسُ، فلتدم المحبة ولتقْوَ الشورى، والملام على من اتبع الهوى والسلام على من اتبع الهدى..آمين.

واذا قيل:

لِمَ تهتم بالشورى الى هذا الحد، وكيف يمكن أن تتقدم البشرية عامة وآسيا والاسلام بوجه خاص بتلك الشورى؟

الجواب:

فكما اوضحت لمعة »الاخلاص« وهي اللمعة الحادية والعشرون: ان الشورى الحق تولّد الاخلاص والتساند، اذ إن ثلاث ألفات هكذا (111) تصبح مائة واحدى عشرة، فانه بالاخلاص والتساند الحقيقي يستطيع ثلاثة اشخاص ان يفيدوا امتهم فائدة مائة شخص. ويخبرنا التاريخ بحوادث كثيرة أن عشرة رجال يمكنهم أن يقوموا بما يقوم به ألف شخص بالاخلاص والتساند الحقيقي والشورى فيما بينهم.

فما دامت احتياجات البشر لاحد لها واعداؤه دون حصر، وقوته ورأس ماله جزئيان محدودان جداً. ولاسيما بعد ازدياد المخرّبين والمتوحشين نتيجة تفشّي الالحاد.. فلابد أن يكون أمام اولئك الاعداء غير المحدودين والحاجات التي لا تحصر نقطة استناد تنبع من الايمان، فكما تستند حياته الشخصية الى تلك النقطة فان حياته الاجتماعية ايضاً انما تستطيع ان تدوم وتقاوم بالشورى الشرعية النابعة من حقائق الايمان، فتقف اولئك الاعداء الشرسين عند حدّهم وتلبي تلك الاحتياجات.

الذيل الاول

تشخيص العلّة

هذا الذيل يبين بطولةً معنوية لاتثلم نابعة من الايمان، ضمن تمثيل لطيف جداً نذكر خلاصته لمناسبة ما ذكرناه من مسائل.

لقد رافقت ايضاً السلطان رشاد [13] في سياحته الى »روم ايلي« ممثلاً عن الولايات الشرقية، وذلك في بداية عهد الحرية [14].

كان في قطارنا معلمان اثنان، قد تلقيا العلوم في المدارس الحديثة، فجرت بيننا مباحثة، اذ سألاني:

– أيُّما اقوى وأولى بالالتزام: الحمية الدينية أم الملية؟ قلت لهم – وقتئذٍ –:

– نحن معاشر المسلمين، الدين والملية عندنا متحدان بالذات، والاختلاف إعتباري، أي ظاهري، عرضي، بل الدين هو حياة الملية وروحها. فاذا مانُظر اليهما بأنهما مختلفان ومتباينان، فان الحمية الدينية تشمل العوام والخواص بينما الحمية الملية تنحصر في واحد بالمئة من الناس، ممن يضحي بمنفعته الشخصية لأجل الأمة.

وعليه فلابد أن تكون الحمية الدينية اساساً في الحقوق العامة، وتكون الملية خادمة منقادة لها وساندة حصينة لها.

فنحن الشرقيين لانشبه الغربيين، اذ المهيمن على قلوبنا الشعور الديني؛ فإنّ بعث الانبياء في الشرق يشير به القدرُ الالهي الى أن الشعور الديني وحده هو الذي

---

[13] هو السلطان محمد الخامس الملقب بالسلطان رشاد تولّى السلطنة بعد عزل اخيه السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1909م. المترجم.

[14] الاصطلاح الذي اطلقه الاتحاديون على عهدهم. المترجم

يستنهض الشرق ويسوقه الى التقدم والرقي، والعصر السعيد – وهو خـــير القـــرون والذي يليه – خير برهان على هذا.

فيا زملائي في هذه المدرسة السيارة، أعني القطار، ويا من تسألون عن التفاضـــل بـــين الحمية الدينية والملية، ويايها الدارسون في المدارس الحديثة. اني اقول لكم جميعاً:

ان الحمية الدينية والملية الاسلامية قد امتزجتا في الترك والعرب مزجاً لا يمكن فصلهما، وان الحمية الاسلامية هي أقوى وأمتن حبل نوراني نازل من العرش الاعظم، فهـــي العـــروة الوثقى لا انفصام لها، وهي القلعة الحصينة التي لا تهدم.

قال ذلك المعلمان:

ما دليلك؟ يلزم لمثل هذه الدعوى الكبيرة حجة عظيمة ودليل قوي. فما الدليل؟.

وفي هذه الاثناء خرج قطارنا من النفق، فأخرجنا رؤوسنا من النوافذ نتطلع الى الخارج، رأينا صبياً لايتجاوز السادسة من العمر واقفاً بجانب سكة الحديد.

قلت لصاحبيّ:

– ان هذا الصبي يجيبنا عن سؤالنا بلسان حاله، فليكن استاذنا بدلاً مـــني في مدرســـتنا السيارة هذه.

اذ لسان حاله يقول هذه الحقيقة:

انظروا الى دابة الارض هذه، والى ضجيجها وصيحتها، وانطلاقها من النفق، وتأملوا في ذلك الطفل الوديع الواقف على مقربة منها، فعلى الرغم من تهديد هذه الدابـــة وهجومهـــا وانقضاضها على كل من يقترب منها حتى كأنها تقول: يا ويل من يصادفني ويقف امامي .. على الرغم من هذا فان ذلك الصبي البرئ واقف لايحرك ساكناً بالقرب منها، وهو في كمال الاطمئنان والحرية، ولايكترث لتهديدها، مبدياً بطولةً فائقة وجرأة خارقة، وكأنه يســـتخف بهجومها، فهو يقول بلسان ثباته وبطولته في سن الصبا هذا:

– أيها القطار انك لا تخيفني بصوتك الصاخب الذي يشق عنان السماء.. أيها القطار انك أسير نظام، فخطامك في يد قائدك، لا طاقة لك أن تتجاوز حدَّك ولا يمكنك ان تتحكّم فيّ، فهيا انطلق في طريقك وامضِ في سيرك بإذن قائدك.

فيا صاحبيّ في القطار، ويا اخوتي الباحثين في العلوم بعد خمسين عاماً!

افرضوا خيالاً ان رستم الفارسي وهرقل اليوناني، واقفان موقف الصبي هذا، واذ هما لا علم لهما بالقطار، فلا يعتقدان بانه يسير وفق نظام معين، فاذا ماخرج عليهما من النفق المظلم وفي رأسه النار ذات الوقود وفي انفاسه هدير السماء، وفي عيونه بروق المصابيح، وهو يهدد ويزمجر وكأنه يريد أن ينقضّ عليهما.. تصوروا هذه الحالة ثم قدّروا مدى الخوف والهلع الذي يعتريهما، وكيف انهما يفرّان من القطار مع ما يملكانه من جرأة وشجاعة نادرة. وتصوّروا كيف ان حريتهما وجسارتهما تضمحلان امام تهديد دابة الارض هذه حتى لا يجدان بداً منها إلاّ الفرار.. كل ذلك لانهما لا يعتقدان بوجود قائد يقود ذلك القطار، ولا يؤمنان بوجود نظام يسير على وفقه، بل لايظنان أنها دابّة مطيعة منقادة ليس إلاّ، وانما يتخيلانها أسداً هصوراً ووحشاً كاسراً جسيماً تنتظم وراءه أُسود كثيرة ووحوش عديدة.

يا اخوتي! ويا زملائي الذين يسمعون هذا الكلام بعد خمسين عاماً!

ان الذي منح هذا الصبي تلك الجسارة والحرية اكثر من ذينك البطلين ووهب له اطمئناناً وسكينة يفوقهما بكثير هو: ان في قلب ذلك الصبي نواة حقيقة، وهي: ايمانه واطمئنانه بأن ذلك القطار يسير على وفق نظام، واعتقاده بأن زمامه بيد قائد يقوده بأمره ولأجله.

وأما الذي أرهب ذينك البطلين المشهورين وأسر وجدانهما، فهو عدم معرفتهما بقائد ذلك القطار وعدم اعتقادهما بنظامه، أي جهلهما بالعقيدة وخلوهما منها.

فمثل هذه البطولة النابعة من ايمان ذلك الصبي الوديع قد ترسّخت طوال ألف سنة في قلوب عشائر من طوائف الاسلام (وهم الترك ومن تشبّهوا بهم) عقيدةً وايماناً، فوهبهم ذلك الايمان بطولة فائقة استطاعوا بها ان يغزوا دولاً تفوقهم مئة ضعف وان يثبتوا امامها، فنشروا كمالات الاسلام في ارجاء العالم.. في آسيا وأفريقيا ونصف اوروبا، واستقبلوا الموت بسرور بالغ قائلين: إن قُتِلت فأنا شهيد وان قَتَلت عدواً فانا مجاهد. بل ثبتوا – بالايمان – امام كل ما

اتخذ موقف عداءٍ تجاه استعدادات الانسان وقواه ابتداءً من الميكروبات الى المذنبات الـــتي في السماء، وكأن كلاً منها قطار رهيب، فلم يكترثوا بتهديداتها.

وانما حازت جميع قبائل الاسلام وفي مقدمتها طوائف الترك والعرب نوعاً من السعادة الدنيوية بتسليمهم الامر الى الله والرضى بقضائه وقدره ورؤية الحكمة وتلقي دروس العبرة من الحوادث بدلاً من الرهبة والهلع منها.

فاظهار هؤلاء المسلمين، بطولة معنوية فوق المعتاد – كما يظهره ذلك الصبي – يدلّنا: ان امة الاسلام مثلما تفوز في الآخرة فلهم في الدنيا ايضاً السيادة مستقبلاً.

ان الذي ادّى الى ان يدخل في روع ذينك البطلين الخوف والفرار والقلق انما هو حرمانهما من الايمان والعقيدة وجهلهما وضلالهما. فلقد اثبتت »رسائل النور« بمئات الحجج القاطعة تلك الحقيقة التي ذكرت بضعة امثلة منها في مقدمة هذه الرسالة ايضاً، تلك هي:

ان الكفر والضلال يريان الكون لأهلهما أنّه ملئ بآلاف الأعداء المخيفين، بل هو سلسلة من طوائف تعادي الانسان، ابتداءً من المنظومة الشمسية وانتهاء الى ميكروبات التدرن الرئوي، كلها تعادي هذا الانسان المسكين بايدي القوى العمياء والمصادفة العشواء والطبيعة الصماء. حتى تجعله في رعب دائم وألم مقيم وهلع ملازم واضطراب مستمر مع ما يحمل هذا الانسان من ماهية جامعة واستعداد كلي وحاجات لا نهاية لها ورغبات لا منتهى لها. بل يجعله الكفر والضلال في حالة من عذاب جهنم في الدنيا وكأنه يتجرع الزقوم ولا يكاد يسيغه. فلا تجديه آلاف الفنون والعلوم – الخارجة عن الدين والايمان – ولا التقدم البشري – مثلما لم تجدِ بطولة ذينك البطلين المشهورين – بل تجري في دمه السفاهة واللهو لتعطّل حواسه لئلا يشعر بالألم مؤقتاً.

فكما ان المقايسة بين الايمان والكفر تُفضي في الآخرة الى الجنة والنار، فان الايمان في الدنيا ايضاً يحقق نوعاً من الجنة المعنوية ويجعل المرء يرى الموت نوعاً من التسريح من الوظيفة، بينما الكفر يجعله في الدنيا ايضاً في جحيم معنوي سالباً منه السعادة إذ يريه الموت اعداماً ابدياً. كما اثبتنا ذلك في »رسائل النور« اثباتاً بدرجة الشهود والقطعية التامة. فنحيل القارئ الكريم الى تلك الرسائل.

فإن شئتم أيها الاخوان ان تروا حقيقة هذا المثال، فارفعوا رؤوسكم وانظروا الى هـــذا الكون! كم ترون لله في الفضاء من كرات النجوم واجرام العوالم وسلاسل

الحادثات والوقائع المتسلسلة أمثال القطار والمنطاد والسيارات الالهية فكأنها سفائن برية وفلك بحرية وطائرات هوائية خلقتها يد القدرة الالهية بنظام وحكمة.

فكما ان للقدرة الالهية في عالم الشهادة وفي عالمنا المادي امثال هذه، فان لها في عالم الارواح والمعنويات نظائر متسلسلة أعجب، يصدّق بها كلُ مَن يملك عقلاً، بل يرى اغلبَها كلٌ مَن يملك بصيرة.

فهذه الامور المتسلسلة المترابطة في الكون سواءٌ منها المادية أو المعنوية تهاجم أهل الضلال الذين حُرموا من الايمان وتهددهم وترهبهم وتحطّم قواهم المعنوية، بينما لاتخيف اهل الايمان ولا تهددهم بشئ بل تبعث فيهم السرور والسعادة والانس والأمل والقوة، وذلك لأنهم يرون الوجود بنور الايمان، وتلك الحوادث المتسلسلة، وتلك القاطرات المادية والمعنوية والعوالم السيارة، انما تساق الى وظيفة معينة محددة من قبل صانع حكيم لتؤديها ضمن نظام وحكمة من دون اختلاط ولا تجاوز قط.

فيُري الايمان المؤمنَ: أن كل شئ ينال قبساً من تجليات جمال الله واتقان صنعته سبحانه، ويمنحه قوة معنوية عظيمة بما يفتح له من نماذج للسعادة الابدية.

وهكذا فان ما يعانيه اهل الضلال من الآلام الرهيبة الناشئة من فقدان الايمان، وما يلازمهم من خوف ورعب شديدين، تقف ازاءه جميع انواع الرقي البشري عاجزة لاتمنح له سلواناً ولا عزاءً، بل لا يمكنها ان تضمن له قوة معنوية، فتتحطم الجرأة والإقدام.. إلاّ ما تخدعه الغفلة من إسدال ستار النسيان عليها.

أما أهل الايمان فلا ترهبهم تلك الحادثات ولا تأخذ من معنوياتهم؛ وذلك بفضل الايمان - بمثل ذلك الصبي - بل تزيد معنوياتهم صلابة، اذ ينظرون اليها- أي الى الحوادث - من خلال حقيقة ايمانهم فيشاهدون ارادة الصانع الحكيم وادارته وتدبيره اياها ضمن حكمته الواسعة. فيتحررون من المخاوف والاوهام، اذ يعلمون أنه: لولا امرُ الصانع الحكيم وإذنه لما استطاعت هذه العوالم السيارة الحركة قط. فينالون بهذا اطمئناناً يسعدهم في الدنيا كذلك، كل حسب درجته.

ومن لم يكن في قلبه ووجدانه بذرة هذه الحقيقة النابعة من الايمان والدين الحـــق، و لم يستند الى ركيزة، فمثله كمثل ذينك البطلين المشهورين، اذ تنهار قواه المعنوية بمثـــل تحطـــم جسارتهما وبطولتهما. ويكون أسير حادثات الكائنات فيتفسّخ وجدانـــه ويصبح كالمتسول الذليـــل بإزاء كل حادثة.

نكتفي بهذا القدر لبيان هذه الحقيقة الواسعة حيث بيّنت »رسائل النـــور« بحججهـــا الدامغة ان هذا السر كامنٌ في الايمان بينما الضلالة تحمل شقاءً وتعاسة في الدنيا ايضاً.

ان الانسان الذي أحسّ في هذا العصر بحاجته الماسة الى قوة معنوية وصلابة وثبات والى عزاء وسلوان، قد ترك حقائق الايمان التي هي اعظم ركيزة استناد له والتي تضمن له القـــوة المعنوية والسلوان والسعادة، واستهواه التغرب فاستند الى الضلالة والسفه، فبـــدلاً مـــن أن يستفيد من الملية الاسلامية اخذ يحطم القوة المعنوية تحطيماً كاملاً، فازال عنه السلوان واوهن صلابته بانسياقه وراء الضلال والسفه والسياسة الكاذبة. ألا ترى أن هذا بعدٌ شاســـع عـــن مصالح الانسان ومنافعه؟ ألا ان الانسانية ستدرك يوماً – إن بقي لها من العمر بقية – حقيقة القرآن، وستعتصم به، وفي مقدمتها المسلمون.

* **

لقد سأل قسم من النواب المتدينين سعيداً القديم اوائل عهد الحرية:

– انك تجعل السياسة تابعة للدين في كل شئ، بل تجعلها وسيلة منقادة للشـــريعة، ولا تقبل الحرية الاّ على اساس الوجه المشروع، بمعنى انك لا تعترف بالحرية والمشروطية بـــدون الشريعة، ولأجل هذا جعلوك في صفوف المطالبين بتطبيق الشريعة في حادثة (31) مارت.

فأجابهم سعيد القديم بالآتي:

أجل! انه لا سعادة لأمة الاسلام إلاّ بتحقيق حقائق الاسلام، وإلاّ فلا، ولا يمكـــن ان تذوق الامة السعادة في الدنيا او تعيش حياة اجتماعية فاضلة إلاّ بتطبيق الشريعة الاســـلامية، وإلاّ فلا عدالة قطعاً، ولا أمان مطلقاً. اذ تتغلب عندئذٍ الاخلاق الفاسدة والصفات الذميمة، ويبقى الأمر معلقاً بيد الكذابين والمرائين.

سأعرض لكم ما يثبت هذه الحقيقة في حكاية اوردها نموذجاً مصغراً مـــن بـــين آلاف الحجج.

سافر شخص الى قوم من البدو في صحراء. فنزل ضيفاً عند رجل فاضل.. لاحظ انهم لا يهتمون بحرز اموالهم. وقد ألقى صاحب المنزل نقوده في زوايا البيت مكشوفة دون تحفّظ. قال الضيف لصاحب المنزل:

– الا تخافون من السرقة؟ تلقون اموالكم هكذا في الزوايا دون تحرز؟

اجابه:

– لا تقع السرقة فينا!

– اننا نضع نقودنا في صناديق حديد مقفلة، ومع ذلك كثيراً ما تقع فينا السرقة.

– اننا نقطع يد السارق كما أمر به الله تعالى وعلى وفق ما تتطلبه عدالة الشريعة.

– فاذاً كثيرون منكم قد حرموا من احدى ايديهم!

– ما رأيت الاّ قطع يد واحدة، وقد بلغت الخمسين من العمر.

– ان في بلادنا يسجن يومياً مايقارب الخمسين من الناس بسبب السرقة، ومع ذلك لا يردعهم ذلك إلاّ بواحد من ألف مما تردعه عدالتكم!

– لقد اهملتم حقيقة عظيمة وغفلتم عن سرّ عجيب عريق، لذا تحرمون من حقيقة العدالة؛ اذ بدلاً من المصلحة الانسانية تتدخل فيكم الاغراض الشخصية والمحسوبيات والتحيز وما الى ذلك من الامور التي تغيّر طبيعة الاحكام وتحرّفها.

وحكمة تلك الحقيقة هي:

ان السارق فينا في اللحظة التي يمد يده للسرقة يتذكر اجراء الحدّ الشرعي عليه، ويخطر بباله انه أمر الهي نازل من العرش الاعظم، فكأنه يسمع بخاصية الايمان بأذن قلبه ويشعر حقيقةً بالكلام الازلي الذي يقول☹والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما) (المائدة: 38) فيهيج عنده ما يحمله من ايمان وعقيدة، وتثار مشاعره النبيلة، فتحصل له حالة روحية اشبه ما يكون بهجوم يُشن من اطراف الوجدان واعماقه على ميل السرقة، فيتشتت ذلك الميل الناشئ من النفس الأمارة بالسوء والهوى، وينسحب وينكمش، وهكذا بتوالي التذكير هذا يزول ذلك الميل الى السرقة، اذ الذي يهاجم ذلك الميل ليس الوهم والفكر وحدهما وانما قوى معنوية من

عقل وقلب ووجدان، كلها تهاجم دفعة واحدة ذلك الميل والهوى فبتذكر الحد الشرعي يقف تجاه ذلك الميل زجرٌ سماوي ورادع وجداني فيسكتانه.

اجل! ان الايمان يقيم دائماً في القلب والعقل حارساً معنوياً اميناً، لذا كلما صـــدرت ميول فاسدة عن تطلعات النفس والنوازع والاحاسيس المادية قال لها ذلك الحارس الـــرادع: محظور.. ممنوع.. فيطردها ويهزمها.

ان افعال الانسان انما تصدر عن تمايلات القلب والمشاعر وهي تنبعث من شدة تحسس الروح وحاجتها، والروح انما تهتز بنور الايمان، فان كان خيراً يفعله الانســـان، وإلاّ يحـــاول الانسحاب ، وعندئذٍ لا تغلبه النوازع والاحاسيس المادية التي لا ترى العقبى!

الحاصل:

ان »الحد« أو »العقاب« عندما يقام امتثالاً للأمر الالهي والعدل الرباني فـــان الـــروح والعقل والوجدان واللطائف المندرجة في ماهية الانسان تتأثر به وترتبط به، فلأجل هذا المعنى افادتنا اقامة حد واحد طوال خمسين سنة اكثر من سجنكم في كل يوم! ذلك لأن عقوباتكم التي تجرونها باسم العدالة لايبلغ تأثيرها إلاّ في وهمكم وخيالكم، اذ عنـــدما يقـــوم احـــدكم بالسرقة يَرِد الى خياله العقاب الذي ما وضع إلاّ لأجل مصلحة الامة والبلاد ويقول ان الناس لو عرفوا باني سارق فسينظرون اليّ نظرة ازدراء وعتاب، واذا تبين الأمر ضدّي ربما تـــزجّني الحكومة في السجن.. وعند ذلك لاتتأثرُ الاّ قوته الواهمة تأثراً جزئياً، بينما يتغلب عليه الميـــل الشديد الى السرقة والنابع من النفس الامارة والاحاسيس المادية – لاسيما ان كان محتاجاً – فلا ينفعه عقابكم لإنقاذه من ذلك العمل السئ. ثم لأنه ليس امتثالاً للأمر الالهي فليس هـــو بعدالة، بل باطل وفاسد بطلان الصّلاة بلا وضوء وبلا توجّه الى القبلة، أي أن العدالة الحقـــة والعقاب الرادع انما يكون اذا أُجريت امتثالاً للأمر الالهي وإلاّ فان تأثير العقاب يكون ضئيلاً جداً.

فاذا قست على هذه المسألة الجزئية في السرقة ســـائر الاحكـــام الالهيـــة تـــدرك أن: الســـعادة البشرية في الدنيـــا مرتهـــنـــة باجراء العدالة، ولا تنفذ العـــدالـــة الاّ كما بيّنها القرآن الكريم.

(انتهت خلاصة الحكاية).

ولقد أُخطر على القلب أنه:

اذا لم يفق الانسان من غفلته بسرعة، و لم يسترشد بعقله، ويفتح ابواب المحاكم لتنفيذ عدالة الله ضمن حقائق الاسلام، فستنفلق على رأسه قيامات مادية ومعنوية ويسلّم السلاح الى الفوضويين والارهابيين ومَن هم امثال يأجوج ومأجوج!

وهكذا فلقد حكى »سعيد القديم« هذه الحكاية لقسم من النواب المتدينين، وأدرجت قبل خمسة واربعين عاماً في ذيل الخطبة الشامية العربية التي طبعت طبعتين في أسبوع واحد.

والآن فهذه الحكاية والتمثيل الاول، انما هما درسان يستفيد منهما النواب المتدينون الافاضل في الوقت الحاضر أكثر من سابقيهم، فنبيّنهما لهم درساً من دروس العبرة [15].

---

[15] لقد رجونا من استاذنا ان يدرّسنا في غضون يومين الخطبة الشامية المطبوعة بالعربية، لعدم اتقاننا العربية، فتفضل علينا بشرحها، ونحن بدورنا دوّنا ما قرره علينا، وكان الاستاذ يكرر بعض الجمل ويعيدها كي يرسخها في اذهاننا، ولما كنا قد وجدنا المثال والحكاية الأخيرة واضحة، فقد ابرزناها مقدماً الى الطلاب الجامعيين والنواب المتدينين، ذلك لأن الاستاذ عندما استهل الدرس قال:

»انني اضعكم امامي بدلاً من المعلمين في ذلك القطار، واضع النواب المتدينين حقاً بدلاً من النواب المتدينين الذين سألوني عن الشريعة قبل خمسة واربعين عاماً، هكذا أتصور الأمر واتكلم في ضوئه.

فنحن نبين ما في هذه الرسالة من معانٍ اولاً لأهل المعرفة والتربية والنواب المتدينين، واذا شاؤوا نبين لهم الدروس التي اخذناها من الاستاذ لدى شرحه الخطبة لنا. واذا ارتأوا نطبعها وننشرها.

كنا نودّ ان نأخذ درساً حول السياسة الاسلامية الدائرة في العالم الاسلامي، ولكن لأن الاستاذ قد ترك السياسة منذ خمس وثلاثين سنة، فان هذه الخطبة – التي تمس السياسة – انما هي درس من دروس »سعيد القديم«.

طلاب النور

طاهرى، زبير، بايرام، جيلان،

صونغور، عبدالله، ضياء، صادق،

صالح، حسني، حمزة.

سعيد النورسي

ذيل الذيل

لتحيا الشريعة الغراء

26شباط 1324 رومي

الجريدة الدينية/ 73

7 مارت 1909م

أيها النواب!

سأقول جملة واحدة موجزة مع أنها طويلة. فارجو ان تلاحظوها باهتمام بـــالغ، اذ في اطنابها ايجاز وهي:

ان المشروطية والقانون الأساس هما العدالة والشورى وحصر القوة في القانون، مع هذا العنوان أقول:

ان الاسلام وشريعته الغراء هو:

المالك الحقيقي وصاحب العنوان المعظم.. والمؤثر الحق والمتضمن للعدالة المحضة.. ويحقق نقطة استنادنا.. ويرسي المشروطية على اساس متين.. وينقذ ذوي الاوهام والشـــكوك مـــن ورطة الحيرة.. ويتكفل بمستقبلنا وآخرتنا.. وينقذكم من التصرف في حقوق الله بـــدون اذن منه، تلك الحقوق التي تضمن مصالح الناس كافة.. ويحافظ على حياة امتنا.. ويظهـــر ثباتنـــا وكمالنا ويحقق وجودنا امام الاجانب.. وسحر العقول والاذهان.. وينقذكم من تبعات الدنيا والآخرة.. ويؤسس الاتحاد العام الشامل نهاية المطاف.. ويولد الافكار العامة (الرأي العـــام)

التي هي روح ذلك الاتحاد.. ويحول دون دخول مفاسد المدنية الى حدود حريتنا ومـــدنيتنا.. وينجينا من ذل التسول من أوروبا.. ويطوي لنا المسافة الشاسعة التي تخلفنا فيها عن الرقي في زمان قصير بناءً على سرّ الاعجاز.. ويرفع من شأننا في زمن قصير بتوحيد العرب والطوران وايران والساميين.. ويظهر الشخصية المعنوية للدولة بمظهر الاسلام..

ويخلصكم من حنث الأيمان بالمحافظة على المادة الحادية عشرة من القانون الاســـاس.. ويبطل الظنون الفاسدة التي تحملها اوروبا سابقاً.. ويحملهم على التصديق بان النبي محمـــداً)ص(خاتم الانبياء، وان الشريعة خالدة.. ويقيم سداً أمام الالحاد الذي يدمّر المدنية.. ويزيل بصفحته النورانية ظلمة تباين الافكار وتشتت الآراء .. ويجعل جميع العلماء والوعاظ متحدين في سبيل سعادة الامة وتنقية اجراءات الدولة وخداماً للمشروطية المشروعة.. ويؤلف قلـــوب غير المسلمين ويربطهم به أكثر، فعدالته المحضة رحيمة.. ويجعل اجبن شخص واكثرهم ضعة اشجع وارفع انسان ويعاملهم هكذا.. وينفخ فيهم الشعور بالرقي والتضحية ويحسسهم بحب الوطن.. ويخلصنا من السفاهة التي تهدم المدنية ومن الحاجيات غير الضرورية.. ويبعث فينـــا النشاط في العمل للدنيا مع تذكر الآخرة والمحافظة عليها.. ويعلمنا الاخلاق المحمودة التي هي حياة المدنية ويفهمنا قواعد المشاعر النبيلة.. ويبرئ ساحتكم ايها المبعوثون من مطالبة حقوق خمسين ألف شخص.. ويظهركم مثالاً مصغراً مشروعاً لاجماع الامة.. ويجعل اعمالكم كأنها عبادة حسب نياتكم الخالصة.. وينجيكم من الجناية التي ترتكب بحق الحياة المعنوية لثلاثمائة مليون من المسلمين..

فاذا ما اظهرتم الاسلام وشريعته الغراء واتخذتموها اساساً لأحكامكم، وطبقتم دساتيرها، فمع اغتنام فوائد الى هذا الحد هل تفقدون من شئ؟ والسلام.

فلتحيا الشريعة الغراء.

سعيد النورسي

حـــقيـــقـــة

26 شباط 1324م

الجريدة الدينية/70

7 مارت 1909م

نحن منذ الازل داخلون في الجمعية المحمدية، فالتوحيد هو جهة الوحدة والاتحاد فيمـــا بيننا، وقَسَمنا وعهدنا هو الايمان.

فما دمنا موحدين متحدين، فكل مؤمن مكلف باعلاء كلمة الله واعظم وسيلة لاعلاء كلمة الله في زماننا هذا هو الرقي المادي.

اذ الاجانب يسحقوننا تحت تحكمهم المعنوي بسلاح العلوم والصنائع ونحن ســـنجاهد بسلاح العلم والتقنية الجهلَ والفقرَ والخلاف الذي هو ألد أعداء اعلاء كلمة الله.

اما الجهاد الخارجي فنحيله الى السيوف الالماسية للبراهين القاطعة للشريعة الغـــراء. لأن الغلبة على المدنيين انما هي بالاقناع وليس بالاكراه كما هو شأن الجهلاء الذين لا يفقهـــون شيئاً.

نحن فدائيو المحبة لامكان بيننا للخصومة.

فالجمهورية [16] عبارة عن العدالة والشورى وحصر القوة في القانون، أليس من الجنايـــة على الاسلام أن تستجدى الاحكام من اوروبا ولنا شريعة غراء تأسست قبل ثلاثة عشر قرناً؟ ان هذا الاستجداء شبيه بالتوجه الى غير القبلة في الصلاة.

ان القوة لابد ان تكون في القانون وإلاّ فسيتفشى الاستبداد في الكثيرين.

---

[16] وضعت هذه الكلمة حديثاً بدلاً من المشروطية الموجودة سابقاً... المؤلف.

ولابد أن يكون المهيمن والآمر الوجداني قوله تعالى: (ان الله لقوي عزيز) (الحج: 74). وهذا يكون بالمعرفة التامة والمدنية الكاملة أو بتعبير آخر بالاسلام. وإلاّ سيكون الاستبداد هو المستولي دائماً.

ان الاتفاق في الهدى وليس في الهوى والهوس.

نعم ان الله خلق الناس أحراراً وهم عبيد لله فقد تحرر كل شئ فنحن بامتثالنا الشـــريعة احرار وبتمسكنا بالمشروطية أحرار ايضاً ولن نتنازل عن المسائل الشرعية ولن نعطيها أتـــاوة.

ان قصور فردٍ عن شئ لا يكون عذراً لقصور آخر.

اعلموا ان اليأس مانع كل كمال.

ان هدية الاستبداد وتذكاره هو: »ما لي أنا..فليفكّر غيري«.

احيل الربط بين هذه الجمل الى فكر المطالع الكريم لعدم اتقاني اللغة التركية!!

سعيد النورسي

صدى الحقيقة

27 مارت 1909م

ان السبيل المحمدي مستغنٍ عن كل ما يومئ الى الحيلة والشك لأنه متزّه عن الخـــداع والشبهة.

ثم ان حقيقة واسعة عظيمة محيطة الى هذا الحد – ولا سيما تجاه اهل هذا الزمـــان – لا يمكن ان تخفى مطلقاً.

وهل يخفى البحر العظيم في كأس؟!

اقول مكرراً أن التوحيد الالهي هو جهة الوحدة في الاتحاد المحمدي الذي هو حقيقـــةُ اتحاد الاسلام (الوحدة الاسلامية).

اما يمينه وبيعته فهو الايمان.

ومقرّاته واماكن تجمعاته: المساجد والمدارس الدينية والزوايا.

ومنتسبوه: جميع المؤمنين.

ونظامه الداخلي: السنن الاحمدية. والقوانين الشرعية بأوامرها ونواهيها. فهذا الاتحـــاد ليس نابعاً من العادة وانما هو عبادة.

فالإخفاء والخوف من الرياء. والفرائض لارياء فيها. وأوجب الفرائض في هذا الوقـــت هو اتحاد الاسلام (الوحدة الاسلامية).

وهدف الاتحاد وقصده تحريك الرابطة النورانية التي تربط المعابد الاسلامية الـــتي هـــي منتشرة ومتشعبة. وايقاظ المرتبطين بها بهذا التحريك، ودفعهم الى طريق الرقي بأمر وجداني.

مشرب هذا الاتحاد هو: المحبة. وعدوه: الجهل والضرورة والنفاق.

وليطمئن غير المسلمين بأن اتحادنا هو الهجوم على هذه الصفات الـــثلاث لـــيس إلاّ. وبالنسبة اليهم فسبيلنا الاقناع. لأننا نعتقدهم مدنيين. واننا مكلفون بأن نظهر

الاسلام بمظهر الجمال والحسن المحبوب. لاننا نظن فيهم الانصاف. الا فليعلم المهملون غير المكترثين أنهم لا يحببون انفسهم بالانسلاخ من الدين لأي اجنبي كان. وانما يظهرون انهم على غير هدى ليس الاّ. ومن كان على غير هدى في طريق الفوضوية لا يُحَبّ قطعاً، والذين انضموا الى هذا الاتحاد بعد التدقيق العلمي والبحث والتحري لا يتركونه تقليداً لاولئك حتماً.

نحن نعرض افكار اتحاد الاسلام الذي هو الاتحاد المحمدي ومسلكه وحقيقته للناس اجمعين. ونحن مستعدون لسماع أي اعتراض كان.

جمله شيران جهان بستهء اين سلسله اند

روبه أزحيله جه سان بكُسلد اين سلسله را

أي:

هل يقطع الثعلب المحتال سلسلةً

قيدتْ بها أسد الدنيا

بأسرهم

سعيد النورسي

* **

»فقرة تركتُها من »فهرس المقاصد« المنشور«

ان نهر العلوم الحديثة والثقافة الجديدة الجاري والآتي إلينا من الخارج كما هو الظاهر، ينبغي أن يكون أحد مجاريه قسماً من اهل الشريعة كي يتصفى من شوائب الحيل ورواسب الغش والخداع. لان الافكار التي نمت في مستنقع العطالة، وتنفست سموم الاستبداد، وانسحقت تحت وطأة الظلم، يُحدث فيها هذا الماء الآسن العفن خلاف المقصود.

فلابد اذن من تصفيته بمصفاة الشريعة. وهذا الأمر تقع مسؤوليته على عاتق اهل المدرسة الشرعية.

والسلام على من اتبع الهدى

سعيد النورسي

لتحيا الشريعة الاحمدية

»على صاحبها الصلاة والسلام«

5 مارت 1325 رومي

الجريدة الدينية/ 77

18مارت 1909م

ان الشريعة الغراء باقية الى الابد؛ لانها آتية من الكلام الازلي وان النجاة والخلاص من تحكم النفس الامارة بالسوء بنا هي بالاعتماد على الاسلام والاستناد اليه والتمسك بحبل الله المتين.

وان جني فوائد الحرية الحقة والاستفادة منها استفادة كاملة منوط بالاستمداد من الايمان؛ ذلك لأن من اراد العبودية الخالصة لرب العالمين لا ينبغي له ان يذلّ نفسه فيكون عبداً للعبيد.وحيث أن كل انسان راعٍ في مُلكه وعالَمه فهو مكلّف بالجهاد الاكبر في عالمه الأصغر ومأمور بالتخلق باخلاق النبي)ص(واحياء سنته الشريفة.

يا اولياء الامور! ان اردتم التوفيق فاطلبوه في موافقة اعمالكم للسنن الالهية في الكون – أي قوانين الله – والاّ فلن تحصدوا إلاّ الخذلان والاخفاق. لأن ظهور الانبياء عامة في الممالك الاسلامية والعثمانية انما هو رمز واشارة من القدر الالهي: أن الذي يدفع ابناء هذه الممالك الى التقدم انما هو الدين. وان أزاهير مزرعة آسيا وافريقيا وبساتين نصف اوربا ستتفتح وتزدهر بنور الأسلام.

اعلموا ان الدين لايضحى به لأجل الحصول على الدنيا. فقد كانت تعطى فيما مضـــى مسائل الشريعة أتاوة للحفاظ على الاستبداد البائد [17]. اروني ماذا حصدنا من ترك مســـائل الدين والتضحية بها غير الضرر والخيبة.

[17] المقصود عهد السلطان عبد الحميد الثاني، والاستاذ النورسي مع أنه كان يشنّع بالاستبداد إلاّ أنه يحسن الظن بالسلطان نفسه، فهو اذ يفضح مساوئ الاستبداد الذي كان يمارس باسم السلطان يبرئ ساحة السلطان فيقول عنه: السلطان المظلوم.. انه ولي من اولياء الله الصالحين. المترجم

ان اصابة الامة في قلبها انما هو من ضعف الدين ولن تنعم بالصحة إلاّ بتقوية الدين.

ان مشربنا: محبة المحبة، ومخاصمة الخصومة، أي امداد جنود المحبة بين المسلمين، وتشتيت عساكر الخصومة فيما بينهم.

أما مسلكنا: فهو التخلق بالاخلاق المحمدية)ص(واحياء السنة النبوية.

ومرشدنا في الحياة: الشريعة الغراء

وسيفنا: البراهين القاطعة.

وهدفنا: اعلاء كلمة الله..

ان كل مؤمن هو منتسب – معنىً – لجماعتنا [18]، وصورة هذا الانتساب هو العزم القاطع على احياء السنة النبوية في عالمه الخاص، فنحن ندعو باسم الشريعة اولئك المرشدين وهم العلماء والمشايخ من طلاب العلوم الى الاتحاد قبل اي احد سواهم.

سعيد النورسي

تنبيه خاص

ان الصحفيين الذين هم خطباء عامّون قد أوقعوا الامة في مستنقع فاسد بقياسين فاسدين:

الاول: يقيسون الولايات الاخرى على استانبول علماً ان الاطفال الذين لا يستطيعون قراءة الالفباء اذا لقّنوا الفلسفة فانه يكون تلقيناً سطحياً.

الثاني: يقيسون استانبول على اوروبا علماً ان الرجل اذا ما لبس ثوب امرأة يكون محل هزء وسخرية ويتسفل.

---

[18] هذه المقالة والتي تعقبها تعدّ دعوة واضحة الى الاتحاد الاسلامي والرجوع الى الشريعة والتمسك باهداب الدين ونبذ الخلافات مهما كانت صورها، وهي في الوقت نفسه تمهيد للاذهان لقبول »الاتحاد المحمدي« بمفهومه العام الشامل لجميع المسلمين، والذي أُعلن عنه رسمياً في 5/ نيسان /1909 ضمن احتفال مهيب في جامع يلصوفيا. المترجم.

سعيد النورسي

رد الاوهام

18 مارت 1325 رومي

31 مارت 1909 ميلادي

سأرد هنا الاوهام الفاسدة التسعة التي اسندت الى جماعة الاتحاد المحمدي:

الوهم الاول:

ان طرح المسألة الدينية في الاوساط لا يلائم مثل هذا الظرف الدقيق.

الجواب: نحن نحب الدين ونحب الدنيا أيضاً لأجل الدين..و[لا خير في الدنيا بلا دين].

ثانياً: ما دامت الحاكمية للشعب في المشروطية فلابد أن يثبت الشعب وجوده. وشعبنا مسلم ومسلم فقط. فليست هناك رابطة حقيقية وقوية غير الاسلام بين العرب والترك والكرد والاروناؤوط والجركس واللاز.

إن اهمالاً طفيفاً في الدين ادّى الى ارساء قواعد طوائف الملوك وظهور الجاهليات الميتة قبل ثلاثة عشر قرناً وبالتالي الى ظهور الفتن والقلاقل. وقد ظهرت فعلاً وشاهدناها.

الوهم الثاني:

ان تخصيص هذا العنوان – أي الاتحاد المحمدي – يجعل غير المنتسبين اليه في شك من أمرهم.

الجواب:

وقد قلت سابقاً: فإما لم يُقرأ أو فُهم خطأً؛ لذا أضطر الى التكرار وهو: عندما نقول »الاتحاد المحمدي« الذي هو اتحاد الاسلام، فالمراد هو الاتحاد الموجود الثابت بين جميع المؤمنين بالقوة أو بالفعل. وليس المراد جماعة في استانبول أو في الاناضول اذ

إن قطرة من ماءٍ تحمل صفة الماء، فلا احد خارج هذا الاتحاد، ولا يخصص هذا العنوان بأحد. وتعريفه الحقيقي هو:

ان اساس هذا الاتحاد يمتد من الشرق الى الغرب ومن الجنوب الى الشمال.. ومركـــزه: الحَرمان الشريفان.. وجهة وحدته: التوحيد الالهي.. عهده وقَسَمه: الايمان.. نظامه الداخلي: السنة النبوية الشريفة.. قوانينه: الأوامر والنواهي الشرعية..مقر اجتماعاته: جميـــع المـــدارس والمساجد والزوايا.. ناشرُ افكار تلك الجماعة نشراً خالداً الى الأبد: جميع الكتب الاســـلامية وفي المقدمة القرآن الكريم وتفاسيره (ورسائل النور احد تلك التفاسير في زماننا هذا) وجميـــع الصحف الدينية والجرائد التزيهة التي تهدف الى اعلاء كلمة الله.. ومنتسبوه: جميع المؤمنين.. رئيسه: فخر العالمين)ص(.

والآن لنقف عند الصدد وهو: تيقظ المؤمنين واقبالهم نحو الاسلام ولاينكر مـــا للـــرأي العام من تأثير.. وهدف الاتحاد وقصده: اعلاء كلمة الله.. ومسلكه: الجهاد الاكبر للـــنفس وارشاد الآخرين.. وهمة هذه الهيئة المباركة مصروفة بنسبة تسع وتسعين بالمئة الى غير السياسة من تهذيب الاخلاق واستقامة السلوك وما شابهها من الفضائل والمقاصـــد المشـــروعة اذ ان الجمعيات المتوجهة الى مثل هذه المقاصد نادرة، علماً أن اهميتها جليلة. وهناك واحد بالمئة من المقاصد يتعلق بالسياسة وهو ارشاد السياسيين.. سيوفهم: البراهين القاطعة.. مشربهم: المحبـــة وانماء المحبة المندمجة في بـــذرة الاخوة الموجودة بين المـــؤمنـــين لتصبح شـــجرة طـــوبى مباركة.

الوهم الخامس [19]:

ربما ينفر الاجانب من هذا الاتحاد؟

الجواب:

---

[19] لعل سبب انتقاله الى الوهم الخامس هو ان الوهمين الثالث والرابع مندمجان ضمن الوهم الثاني والله اعلم. المترجم.

ان مَن يجد في نفسه هذا الاحتمال جاهل لا محالة اذ يردّ هذا الاحتمال ما يلقى مـــن خطب ومحاضرات حول الاسلام وعظمته [20] في مراكزهم وعواصمهم.

[20] يشير الى خطب مستر كارلايل وبسمارك وامثالهما. المترجم.

ثم ان اعداءنا ليسوا الاجانب. وانما الذي اردانا الى هذا الوضع وحال بيننا وبين اعـــلاء كلمة الله هو مخالفتنا للشريعة الغراء نتيجة »جهلنا« بها، و»الضرورة« الـــتي اثمـــرت ســـوء الاخلاق وسوء المعاملات و»الاختلاف« الذي انتج الاغراض الشخصية والنفـــاق فاتحادنـــا هجوم على هذه الثلاثة من الاعداء الظلمة.

أما جهل الاجانب بالاسلام في القرون الوسطى، فالاسلام مع اضـــطراره الى معـــاداة الجهل والهمجية الاّ أنه قد حافظ على العدالة والاستقامة معهم فلم يُرَ في التاريخ الاســـلامي امثال محاكم التفتيش. ولما قوي ساعد المدنيين في زمن التحضر هذا فقد زال عنهم ذلك التعصب الذميم.

ان الظهور على المدنيين من منظور الدين انما هو بالاقناع وليس بـــالاكراه. وباظهـــار الاسلام محبوباً وسامياً لديهم وذلك بالامتثال الجميل لأوامره واظهار الاخلاق الفاضلة.

اما الاكراه والعداء، فهما تجاه وحشية الهمجيين.

الوهم السادس:

ان البعض يقول: ان اتخاذ اتحاد الأسلام اتباع السنة النبوية هدفاً له يحدد مـــن الحريـــة وينافي الاخذ بمتطلبات المدنية.

الجواب:

المؤمن حرّ في ذاته. فالذي هو عبد لله رب العالمين لا ينبغي له ان يتذلل للناس، بمعـــنى: كلما رسخ الايمان قويت الحرية.

أما الحرية المطلقة فما هي الاّ الوحشية المطلقة بل بهيمية، وتحديد الحرية ضروري مـــن وجهة نظر الانسانية.

ثالثاً: ان قسماً من السفهاء والمهملين يريدون أن يظلوا اذلاء أسارى الـــنفس الامـــارة بالسوء فلا يروق لهم العيش الحر.

الحاصل:

ان الحرية الخارجة عن دائرة الشرع، انما هي أستبداد أو أسرٌ بيد النفس الامارة بالسوء، أو بهيمية أو وحشية. فليعلم جيداً هؤلاء الزنادقة والمهملون للدين انهم

لايستطيعون ان يحببوا انفسهم لأي اجنبي كان يملك وجداناً، بالالحاد والسفاهة، بل لا يمكنهم ان يتشبهوا بهم. لان السفيه والذي لا يسير على هدى لا يكون محبوباً، فالثياب اللائقة بإمراة اذا ما لبسها الرجل يكون موضع هزء وسخرية.

الوهم السابع:

ان جمعية أتحاد الاسلام انما هي لشق الصف بين سائر الجمعيات الاسلامية وتولّد الحسد والنفرة بينها.

الجواب:

اولاً: ان الامور الاخروية لا حسد فيها ولا تنافر وتزاحم فايما جمعية حسدت وزاحمت الاتحاد فكأنما تنافق في العبادة وترائي فيها.

ثانياً: اننا نتحد مع الجماعات المتشكّلة بدافع محبة الدين وخدمته وذلك على وفق شرطين اثنين:

الشرط الاول: المحافظة على النظام العام للبلاد والحرية الشرعية.

الشرط الثاني: انتهاج نهج المحبة، وعدم محاولة اظهار مزايا لها بانتقاص الجمعيات الاخرى، بل الاولى مراجعة مفتي الامة وجماعة العلماء فيما اذا ظهر خطأ.

ثالثاً: ان الجماعة التي تهدف الى اعلاء كلمة الله لن تكون وسيلة لأي غرض مهما كان، واذا تشبثت بالاغراض فلا يحالفها التوفيق قطعاً لأنه نفاق، فشأن الحق عالٍ وسامٍ لا يضحى به من اجل أي شئ كان. كيف تكون نجوم الثريا مكانس، أو كيف تؤكل كعناقيد عنبٍ؟ ان الذي يريد ان يطفئ شمس الحقيقة بالنفخ انما يدلّ على بلاهته وجنونه.

أيتها الصحف الدينية!

ان قصدنا وهدفنا هو اتحاد الجماعات الدينية في الهدف. اذ كما لا يمكن الاتحاد في المسالك والمشارب فلا يجوز ايضاً، لأن التقليد يشق طريقه ويؤدي الى القول: »مالي وما عليّ فليفكر غيري«.

الوهم الثامن:

ان المنتسبين الى الاتحاد – معنىً وصورة – اكثرهم من العوام وقسم منهم غير معروفين وهذا مدعاة الى حدوث فتن واختلافات.

الجواب:

إنما ذلك لعدم السماح في هذا الاتحاد بالتمايز بين الناس سواء أكانوا من الخاصة أم من العامة، ثم لأن المرء في الاتحاد يدعو الى اعلاء كلمة الله فكل ما يقوم به يثاب عليه ثواب عبادة.. ففي جامع العبادة يتساوى الملك والمتسول فلا امتياز، بل المساواة الحقة دستور قائم. لأن الأكرمَ عند الله هو الأتقى، والأتقى هو المتواضع، فبناءً على هذا يتشرف الشخص بانتسابه الى هذه الجماعة الخالصة لخدمة الدين والدعوة الى الآخرة، والاّ فلا يزيد الاتحاد شرفاً، اذ القطرة لا تزيد البحر شيئاً.. ثم ان الانسان كما لا يخرج عن الايمان بارتكاب كبيرة، فان باب التوبة ايضاً مفتوح حتى تطلع الشمس من مغربها. والبحر لا يتنجس بغرفة ماء، بل يطهّر اليد فالمنتسب الى هذا المثال المصغر للاتحاد الاسلامي يشترط عليه اتباع السنة النبوية واحياؤها وامتثال أوامرها واجتناب نواهيها وعدم الاخلال بأمن البلاد ونظامها فالمجهول الذي انتسب الى هذا الاتحاد لا يلوث قصداً هذه الحقيقة ما استطاع اليه سبيلاً وحتى لو كان المرء نفسه مذنباً فأيمانه نزيه مقدّس. والرابطة انما هي بالايمان ليس الاّ.

فتشويه هذا العنوان المقدس بحجج واهية امثال هذه انما ينجم عن الجهل بعظمة الاسلام فضلاً عن اظهار هذا المتحجج نفسه أنه احمق الناس.

نحن نردّ بكل ما اوتينا من قوة تشويه سمعة اتحادنا الذي يمثل (اتحاد المسلمين)أو التعريض به مما هو دأب الجمعيات الدنيوية الاخرى ونحن على أتم استعداد للأجابة عن أي استفسار واعتراض كان.

ان الجماعة التي انضم اليها انما هي هذا الاتحاد الاسلامي الذي فصّلنا القول فيه. والاّ فليست هي تلك التي يتخيلها المعترضون بخيالهم الباطل.

ان افراد هذه الهيئة الدينية هم معاً، سواءً أكانوا في الشرق أو الغرب أو الجنوب أو الشمال.

سؤال: انت تذيّل مقالاتك وتمضيها باسم بديع الزمان وهذا يومئ الى المدح؟

الجواب: كلا، ليس للمدح! وانما اريد أن أُبين – بهذا الامضاء – تقصيري. وتعليلـــي هو: ان البديع يعني »الغريب« فاخلاقي غريبة كمظهري، واسلوب بياني غريب كملابسي، كلها مخالفة للآخرين.

فانا أرجو بلسان حال هذا العنوان عدم جعل المحاكمات العقلية والاساليب المتداولة والرائجة مقياساً لمحاكماتي العقلية ومحكاً لأساليب بياني.

ثم ان قصدي من البديع هو »العجيب« فلقد اصبحتُ مصداقاً لما قيل:

[الىّ لَعَمْري قَصْدُ كُلِّ عَجيبَةٍ كَأني عَجيبٌ في عُيُون العَجَائب]

ومثاله الواضح هو:

لقد جئت الى استانبول منذ سنة ورأيت حوادث وانقلابات تحدث في مئة سنة.

والسلام على من اتبع الهدى.

نقول بلسان جميع المؤمنين وبعددهم: فلتحيا الشريعة الأحمدية

بديع الزمان

سعيد النورسي

* **

أخي رئيس التحرير! [21]

على الادباء ان يتأدبوا، ويتحلوا بالاداب الاسلامية، فلينظم ما في وجدانهم من شعور ديني نظامَ المطبوعات، فلقد اظهر هذا الانقلاب الاسلامي:

ان المهيمن في الوجدان انما هو الحمية الاسلامية. ولقد عرف ان الاتحاد الاسلامي شامل لاهل الايمان والجيش كافة. فلا أحد خارج عنه.

سعيد النورسي

---

[21] المقصود رئيس جريدة »فولقان« – اي البركان – السيد درويش وحدتي اصله من قبرص كان ينشر مقالات عنيفة ضد الاتحاد والترقي مثيراً العواطف، فكان الاستاذ النورسي يتردد اليه في ادارة الجريدة وينبهه على تهوره، إلاّ أنه لم ينتفع بنصائحه فساقته عواطفه وتهوره الى الاعدام. المترجم

* **

القطعة الاخيرة

من ذيل الذيل

هذه القطعة عبارة عن درسين القيا على الافواج الثمانية من الذين قاموا بالعصـــيان في حادثة 31 مارت المشهورة وعلى اثرهما اقتنعوا بالعودة الى الولاء. فهانت المصيبة من المئة الى الواحد.

نُشر هذان الدرسان في الجرائد الدينية سنة 1325 رومي - 1909م.

الى جنودنا الاشاوس

4 نيسان 1325 رومي

الجريدة الدينية عدد/107

17نيسان 1909م

ايها الجنود الموحّدون الابطال!

ايها الابطال الذين انقذوا هذه الامة المظلومة والاسلام المقدس من الوقوع في ورطـــتين عظيمتين!

ان عزّكم وبهاءكم في الانتظام والانضباط. وقـــد اظهرتموهمـــا في احلـــك الظـــروف واحرجها واشدها اضطراباً. فحياتكم وقوتكم انما هي في الطاعة. اظهـــروا هـــذه الفضـــيلة المقدسة لأصغر امرائكم. فان شـــرف ثـــلاثين مليوناً من العثمانيين وثلاثمائة مليونـــاً من المسلمين اصبح منوطاً بطـــاعتكم انتـــم.

ان راية الاسلام والتوحيد الالهي في يد شجاعتكم وبطولتكم. وان قوة أيديكم المباركة انما هي في الطاعة. فضباطكم هم كابائكم المشفقين وقد ثبت بالقرآن والحديث والحكمة والتجربة: ان طاعة الآمر في الحق فرض. فكما تعلمون، ان ثلاثين مليوناً لم يتمكنوا ان يقوموا بمثل هذين الانقلابين خلال مائة سنة.

ولقد جعلت قوتكم التي تنبعث من طاعتكم الامة الاسلامية في شكران وتقدير وان ادامة هذا الشرف والحفاظ عليه انما هو في طاعتكم لضباطكم.

وانا اعلم أنكم لم تتدخلوا في الاضطرابات لئلا تجعلوا ضباطكم مسؤولين وهم كابائكم الرحماء بكم.

أما الآن فلقد انتهى الأمر. فارتموا في احضان شفقة ضباطكم ورحمتهم. ان الشريعة الغراء تأمرنا هكذا. إذ الضباط هم اولو الأمر. فمن جهة مصلحة الوطن والامة – ولا سيما في النظام العسكري – اطاعة اولي الامر فرض، والحفاظ على الشريعة المحمدية انما هو بالطاعة.

سعيد النورسي

* **

خطاب الى الجنود

7 نيسان 1325 رومي
الجريدة الدينية عدد/ 10
30 نيسان 1909م

يا عساكر الموحدين! اني ابلغكم أوامر سيد العالمين)ص(:
ان طاعة اولي الأمر ضمن الدائرة المشروعة فـــرض. فاوليـــاء امـــوركم واســـاتذتكم ضباطكم.

ان الثكنات العسكرية اشبه ما تكون بمعمل عظيم منتظم اذا اختل دولاب من العمل يؤثر في خراب المعمل بأكمله.

ان مصنعكم العسكري القوي المنظم نقطة استناد واعتماد ثلاثين مليوناً من العثمانيين وثلاثمائة مليوناً من المسلمين ونقطة استمدادهم.

ان قتلكم لاستبدادين عظيمين دون اراقة دم كان امراً خارقاً. ولانكم قد اظهرتم معجزتين للشريعة الغراء. فقد اظهرتم لضعفاء العقيدة قوة الحمية الاسلامية وقدسية الشريعة في برهانين اثنين.

ولو كنا نضحي بالوفٍ من الشهداء في سبيل هذين الانقلابين لكنا نعدها ضئيلة، ولكن لوضُحيَ بجزء من الف جزء من طاعتكم فهو غال جداً. لأن تناقص طاعتكم يولد الموت، كتناقص الحرارة الغريزية والعقدة الحياتية.

ان تاريخ العالم يشهد أن تدخل الجنود في السياسة قد ادّى الى اضرار جسيمة للدولة وللأمة معاً.

فلابد أن حميتكم الاسلامية ستصرفكم عن مثل هذه الاضرار التي تصيب حياة الاسلام التي تكفلتم بحفظها.

ان الذين يفكرون في السياسة هم بمثابة قوتكم المفكرة من اولياء الأمور والضباط. ان ما تظنونه احياناً من ضرر يصبح خيراً، لأنه يدفع ضرراً أكبر في السياسة. فضباطكم حسب تجاربهم يرون هذا الامر ويأمرونكم به. فعليكم الطاعة دون تردد، اذ لا يجوز التردد والتلكؤ.

ان الافعال غير المشروعة الخاصة لا تنافي المهارة والحذاقة في الصنعة ولا تجعل الصنعة غير مرغوب فيها. فالطبيب الحاذق مثلاً أو المهندس الماهر اذا ما تصرف تصرفاً غير مشروع فلا يؤدي ذلك الى ترك الاستفادة مما لديه من طب أو هندسة، كذلك فن الحرب، فضباطكم المجربون والماهرون المنورون فكراً بالحمية الاسلامية، اذا قام بعضٌ منهم بأمر غير مشروع لايجوز ان يؤدي ذلك الى عدم طاعتهم وعصيانهم لأن فن الحرب مهارة مهمة.

ان الشريعة الغراء التي هي قوام حياتكم قد ابتلعت الجمعيات التي تشتت الافكار وتفرّق الناس. فهي كاليد البيضاء لسيدنا موسى عليه السلام ارغمت السحرة على السجود.

ان اعمالكم كانت علاجاً لهذه الحركات الانقلابية. فاذا ما زادت قليلاً انقلبت سماً قاتلاً وأدّت بالحياة الاسلامية الى امراض جسام. ثم ان ما فينا من استبداد قد زال بهمتكم، ولكن نحن لا زلنا تحت الاستبداد المعنوي لاروربا في مضمار الرقي.

فلابد من الالتزام باقصى درجات الحذر والسكينة والهدوء.

فلتحيا الشريعة الغراء، فليعش الجنود.

سعيد النورسي

* * *